صرخات مُضطرب

إعداد وتنسيق: هداية الهادي الوريث

التدقيق اللغوي: براءة ناصر يوسف



تصميم الغلاف: سكي محمد الدالي

تَنظر إلى هذا الغلاف وتقرأ المَكتوب لَعلك تَفهم مَا مضمون هَذا الكتاب وهَل يستحق ما بداخلهِ القراءة؟ ولَكن هَذه المَرة لنتَبادل الأدوار.. هل تستحق أنت قراءة ما فِي داخل الكِتاب؟

مَا فِي دَاخل هَذا الكتاب أعظم من أن يُختصر يا صَديقي، هُنا سَتجد حَقيقة وسَخَافة هَذا المُجتمع المُظلم، أشخاص قَادهُم هذا العَالم إلى الجُنون، عاجزون عن وصف مُعتقداتهم وأفكارهم .. وعاجزون عَن المضي فِي الحَياة أيضًا، إن كُنت تَملك الجُرأة خُض رِحلةً فِي أعماق هَذا الكِتاب واجلس لِتستمع بصرخاتِ مُضطربٍ،

-إيناس فتحي بكه

المقدمة

لِكُلِ مِنا قِصَةٌ تَختَلف عَن الآخر، رُبَما تَكون مُرضيةً رَغمَ الصُعوبَات التِي مِنَ المُمكن أنْ تَجتاَحها؛ ورُبّما تَكون مُفرِحَة وعَائِدةَ عَلى صَاحِبِها بِالسَلام والاطمِئنَان الدَاخِلي، أمّا النَوع الآخر مِنَ القِصص الذِي لا نَراه قَد يحَكم بِالعَيش فِي ضَيمٍ وجَزع وأذى وأحيانًا يَؤدي إلى الهَاويَة.

هُنا يا صديقي سَنكشف عَن بَعض الأشخاص الذين جرفت بِهم قصصهم المَليئةَ بالغُموض والرهبة إلى العيش في ظَلامٍ قَاتم، جَعلت منهم أشخاصًا مشتتي الفِكر ومُحطمي القَلب، مُنهم مَنَ اخَتار قدره ورحَل من هذِه الأرض... ومنهم من اختار الخُروج من عُزلته بعد عَناءٍ دَامَ لسَنَواتٍ، دَعَنا الآن نعيش أحدَاث وقصص هؤلاء الأشخاص.

_هداية الهادي الوريث.

ما بعد المقدمة

دُوْنَت مُعظم قصصُنا بلسانِ المريضِ متحدثًا عن هولِ ما رأ وماذا شعر آنذاك، و البعضُ منهم فقد مُزِجت أحداث قصصهم بالمنظورين فتحدثَ الطبيب عن المريض و المريض عن ما يرىٰ.

قصة بعنوان: خفايا حرب.

بقلم الكاتبة: هداية الهادي الوريث.

بدَايَة يَومٌ جديد وصَبَاحٌ مُشرق دَخَلتُ فِيه إلى المَصح والفُضول رَفيقِي كَالعَادَةِ للتعرف عَلَى المَريض القَادِم، دَخَلت إلى الغُرفَة فَإذ بِشَابٍ في عُنفوان شَبَابهِ يَنتظرنِي، كَانَ الكَهل مُستوحد كُل مَلامِحه وعَيناهُ مَليئةٌ بِنظَرات الحُزن.

الطبيب: مرحبًا!

-مرحبًا!

الطبيب:كَيفَ حَالك؟

_أتَمنى حقًا أنْ أقول بِخيرٍ؛ لكن وجودي هُنا في ذَاته يُؤكد لك أنَني لستُ بِخير.

الطبيب:أخبرني قِصتك

_قِصتي مَليئةٌ بِالغُموض والحُزن الذي لا نِهاية لَه، هَل ستسمعني إلى النِهايَة؟

الطبيب:بِالتَأكِيد، ولكن أخبرني عَن أسْمِك وسنك قَبل.

_أُدعَى ماك أبْلغ الخَامسَة والعشرون مِنَ العمر.

الطبيب:حَسنًا، لِنبدأ

_

22.حزيران.2011م

كُنت في سن الخاَمسَة عَشر، وبَينمَا كُنتُ نائمًا فِي غُرفتي استيقظتُ عَلى صَوت الرَصَاص والصَواريخ الذي يهز الأرض وفِي خُطواتِي لِلنزول إلى الطَابق الأول أهتَزَ مَنزلنَا وسقطت جُدرانِه، استهدف الصَاروخ الغُرفَة التِي كَان بِها والدِي ووالدَتي وأخي الرَضِيع، فَمَا كُنتُ أفهم ولا أرى شيئًا سوى بَعض الأشَخاص يصرخون مِنَ بَعيدٍ؛ فَخرجت مُسرعًا لا أعَلم إلى أين ولا إلى متى، في حِين فَقدتُ الوعي.

الطبيب:هَل مَاتت عائلتك؟

_نعم...

الطبيب:غَفر اللهُ لَهم وتَقبلهم بِرحمتهِ، اكمل ماذا حَدث بَعدَ ذَلك؟

_

انْفتَحت عَيناي ووجَدت أمَامي شَخصين كَانوا مُلثمين ولا يَكاد يرى مُنهم سوى عَينيهم ومِنْ هُنَا بَدَأت في العَذَاب.

الطبيب:أتقصد أنهُ تَمَ اختطافك؟

فمن بَعد ذَلَك اليَوم نَسيت مَعنَى الحَيَاة وطَعمُها، لم أعَد أرى النُور يُشرق فِي حياتِي، فَكنتُ أتَعرض للضرب المبرح كُلَ يومٍ، وأُعذبُ أشد أنْواع العَذَاب وكُنتُ ضَحيةً لجَرَائمٍ قَذرة، عشتُ فِي هَذه الحَياة عِيشةُ ذُلٍ وظُلم وجوع.

الطبيب:كَيف نَجوت ومَتَى؟

_12.آذار.2015م

كُنتُ جَالسًا كَعادَتِي أتَـأمل الجُدرَان التِي مِن حَولي إلى أن سَمعت أحَد المُختطِفين يَصرخ قَائلًا: "هُنـاك مجموعَةٌ سَوف يُهاجمون المُقر" بَدَأ الجَميع بِالهُروب إلى حِين أتى أحد الأشخاص وفَتح الأبوابَ على كُل المُختطِفين مِعي.

الطبيب:ذَلكَ يَعنِي أنَكَ بَقيت مُختَطفًا لِمُدَة أربَع سَنَواتٍ.

_نَعَم.

الطبيب:مَاذَا حَدَثَ بَعد ذَلِكَ؟

_

خَرجتُ تَـائهًا لا أعلم إلى أين أذهِب كُل ما أعلمهُ أنني سأتوجه إلى مَنزلَنا الذي تَحَطم أثر الـحرب، أوقفت سَيَارة أجُرة وأخبَرتَهُ على المَوقعِ لِيأخذني إليهِ.

وَصَلتُ إلى المَنزل لأجده معتمر مِنْ جَدِيدٍ، تَقدمت وضَربتُ الجَرس فَتحَ لِي طِفلًا صَغيرًا وبَقَى يَتَأملني بِغرابَةٍ حَتى أتتْ أمُه مِنْ خَلفِه لِتقف لِوهلةٍ مُنصدمَةَ وتَقول لِي: "هَل هَذا أنتَ فعلًا؟ لَم تَمت؟"

الطبيب:مَنْ كَانت هَذِه السَيدَة؟

_فِي بَادئ الأمر لَم أستطع التَعرف إليها فِي حِين أتت قَادمَة

وتَقول: "أنتَ مَاك، أليس كَذَلك؟"

أجِبتُها: "نَعم، ولَكن المُعذِرة مِن أنتِ؟"

قَالتْ: "أنَا زَوجة عَمِك ألا تذكرني؟ تَفضل تَفضل.

دَخلتُ إلى البَيت وكُلَ شَيءٍ فِيه كان كَالسَابق، وفِي كُل زَاويَةٍ أنظر إليَها تُذرف عَيناي بالدُموع حَرقةٍ لذَكِريَات الماضي؛ حَتى رَجَعت زَوجَة عَمي قَائلةً: "عَمكَ سَيأتِي قَريبًا لأذهب... أُحُضر لَكَ شَيئًا تَأكُله، خُذ راحَتكَ فِالبَيتُ بَيتَكَ".

بَعد بِضَعِ سَاعَاتٍ...

دَخَل عَمِي ومَعهُ بَاقي العَائلة لَمْ أكَن أعَلم من يَكونوا، فكنت لا أتَذكر أحَدًا، كُل ما أتَذكره فِي مُخيلتي هَو صُورَة والدِي ووالدِاتي وأخِي فَقَط، جَلسَوا مُتجَمعين حَولي ورويتُ لِهم مَا حَدث لِي.

الطبيب:أيَنَ تَعَيش الآن؟

_استئجر لي عَمي شَقَةً مُقَابِلَة مَنزِلِنَا السَابق.

الطبيب:أصف لي مَا الشُعور الذي جَعلك تَأتي إلى هُنا؟

_شُعورٌ مُمتَلئ بِـالوحِدَة والضِياع، أشَعر وكَأنني غُصنًا يَابس في شَجَرَةٍ مُثمِرة، بَدوتُ غَريبًا عَن الجَمِيع، كَما أنهم كُلـمَا يَروني يَنظرُون إلي بِنظَرة شَفقة... أتَعلم أنَ الكَثير ينعتُونِي بِالمَجنون؟ لرّبَمَا كُل ما حدث مَعي يُراودني بِكوابيسٍ، وأحيَانًا أتَصرف بِغَرابَةٍ؛ لَكني لَستُ مَجنونًا، إنما هذا الواقَع فرض عَلي أن أكُون هكذا، لَمَاذَا لا أحَدَ يَفهمنِي؟ لمَاذا لا أحد يُفكر لو أنهُ كَان بِمَكاني ماذا سيَحدث لَهُ؟ أشعر وكَانني جُثةً هَامِدة.

الطبيب:حَسَنًا، اهدئ يَا عزيزي إنني أفهم ما تَقوله، ولَكَن لنْ يَتفَهم أحد كُل ما تشعر بِه؛ لأنهم بِطبيعة الأمر لم يَعِيشوا ما عِشتهُ، أنَتَ قَويٌّ جِدًا لأنكَ تَحمَلتَ مَا لم يتَحملهُ غَيرك، هذِه هِي الحَرب يا عزيزي، تأخُذ أحباؤك وتُحطمك وترحَل.

الآن قُل لي، كَيف تتصرف بِغرَابةٍ؟ وما الكَوابيس التي تُراودك؟

_بَينَ الحِين والآخر أشعرُ وكَأنني لا زلت أعذب بِجهاز الصَعق الكَهربَائي ويظل جِسمِي يرتَعش لدَقائقٍ مُتواصلةٍ، أمَا بالنِسبةِ للكَوابيس؛ فَهي تُراودني لَيلًا أرى فِيها أني لا زلت مُختطِفًا وأرى نَفس الأشَخاص يبرحونِي ضربًا وأحيَانًا أرى عائلتي وهُم غَارقين فِي دِمَائِهم.

الطبيب: سَأصِف لَك دَواء لارتعاش جسدك... أمَا الكَوابيس فَسأعُطيك مُهدئ

_حَسنًا.

الطبيب:قُل لِي هَل سَبقَ وتَحدثُ معَ أحدٍ ككَديثك اليَوم معي؟

_لا، فَأنَا قَليل الحَدِيثُ مَع الجَميع.

الطبيب:هَل تَشعر بِبَعض الارتياح الآن؟

_أجل، وكثيرًا.

الطبيب:رائِع، الآن ضَع فِي بَالك أنَك يَجب أن تتعايش مَع كُل ما حَدثَ لَك وسنَترَك الماضي مَعًا، فَأنَـا مِنَ اليَوم سَأكون إلى جَانِبكَ، أمَا الآن سأصف لَك الدَواء حَتى تُخبرنِي فِي الجَلسةٍ القَادمَةَ هل نَفَعك أم لا.

_حَسنًا، أيها الدُكتور شكرًا جَزيلًا.

الطبيب:إلى اللقاء.

_إلى اللقاء.

...

الجَلسَةَ الثانية.

الطبيب:مرحبًا مرحبًا مَاك!

_مرحبًا أيَها الطبيب!

الطبيب:كَيف حَالك؟

_لـنَقل أنهُ أفضل مِنَ المَرَة السَابقة.

الطبيب:مُمتَاز، إذا قُل لي هل فَادكَ الدَواء بِشيءٍ؟

_نَعمَ، فَادني كَثيرًا؛ فَالأول مَرةٍ فِي حَيَاتي أقضي يَومَين مِن دَون كَوابِيسٍ ومِن دَون ضغوطات المَاضِي.

الطبيب:الآن عن ماذَا سنتحدث؟

_....

الطبيب:سَنضَع أنَا وأنتَ روتِين سَتسير عَليه... قَبل ذَلكَ عدنِي بأنكَ ستَفعل

_أعدكِ.

الطبيب:أول ما ستفعله هُو أنَك ستدرس وَتبَدأ حَياةً جَديدة

_أدرس بَعدَ كُل هَذِه السِنين التِي ضاعت!

الطبيب:الدِراسَةَ لا تُحدد بالسنين، وأنتَ واعدتني.

_حسنًا.

الطبيب:أعلم أن ما سأفعله لن يُغير مِن واقِعكَ شيئًا، ولَكن لتَستمِر فِي هَذه الحَياة وتَنبض مِن جَديد لا بد من أن تُحسن نَفسيتَك وتَتقبل كُل ما حدث معك، فَالله (عز وجَل؛ رَحِيمٌ بِعبده، وأنُه إلى جَانِبكَ فَقط ارسل لَهُ دُعَاؤك..

...

فِي العَديد مِنَ المَرات كَان يأتيني ماك مُستسلمًا ويَرجع إلى نُقطَة البداية، لا أقول أن مَاك استطَاع تَجاوز الأمر؛ لا زالت نفسيته غير جَيدة، ولَكن لنَقل أنه استطاع تَقبل الأمر وعَلمَ كَيف يَمضي فِي هَذه الحَياةَ مَع وجعه، فَليس مِنَ السهل فَتَى في سنه تَعرض لكُل ما هو شَنيع في هَذه الدُنِيا، وبقَى مَاك يَتردد علي لمُدةِ سنتين، ومِن ثمَ انقطعت أخباره.

أخِيرًا ولَيس آخر... مِنَ المُؤسف جِدًا مَا يَحدُث الآن؛ فَالكَثير مِنَ الشَبَاب الذِينَ دَمرتهم الحَرب والكَثير مِن العائلات فَقدت أبناؤهِا الذِي مِنَ المُفترض أن يَكونوا مُساهمين فِي رفِع البِلاد، كَما أنَ مُنهم مَن كَان السَبب فِي تَشرد البلاد، ومِنهم من كَان مِثل مَاك أنجر ضحَية فِي حَرب ليس مِن المعروف مَتى ستنتهي.

نَسأل الله أن يَعَم الأمن على بِلادنَا وتَعود مِثلما كَانت، ورَحم الله عائلاتِنا وأبناؤنا الذين أخَدتِهم الحَرب.

قصة بعنوان: تدمّرت أضلُعي و الفؤاد و إلىٰ متى!

بقلم الكاتبة:سجى محمد الدالي.

مع طلوعِ الشّمسِ من مشرقِهَا، وصوت العصافير العازفة علىٰ لحنٍ موسيقيّ واحد يُجمِّلُ الصباح، بدأ المُنبِهُ بالرنين ليُعلِنَ عن بداية يومٍ مليئ بالأعمال العاجلة، خرجتُ كعادتي بعد ارتدائي لمعطفي، كانت الأجواء في هذا اليوم تختلف اختلافًا كُليًا عن الأيام الماضية، لا وجود لطائِراتٍ تُعتم علينا رؤيةَ الغيوم، ولا تلكَ الأصوات المزعجة الصادِرة عن المدفعيات والآلات الحربية، دخلتُ المُستشفىٰ وبدأت باستقبال الحالات السابقة، كان يومًا مختلف حتىٰ داخل المستشفى؛ فلم يكن هناك عملياتٍ جراحية حتى..

بدأت بتصفُحِ آخر الأخبار حتىٰ تفاجئتُ بقراءةِ حدثٍ لم أتوقعه، أُصيب العديد من الشباب في محاولةٍ منهم لإنقاذ العائلات أقرأ الأخبار بدهشةٍ مُفرطة أهُناك من هُم مستعدون لتضحية لأجل غيرهم ما هذا الإيثار العظيم، بدأت أقرأ أعداد المُصابين وعدد الوفيات قد بلغ عددهم إلىٰ سبعةِ شبابٍ استاطعوا إنقاذ عائلة بأكملها وأخرجوهم من المنزلِ قبل أن يسقُط السقف عليهم، وإذا بهم هُم كانوا الضحايا لهذا اليوم رحمهم الله كانو سببًا لنجاةِ أسرةٍ كاملة، عددٌ كثيرٌ بداخل المنطقةِ الغربية لجرحىٰ من الشباب أُصيبوا في محاولاتهم لفكّ الألغام المزروعة بطرقٍ مُرعبة، أكملتُ بالتصفُحِ وقراءةِ هذه الأحداث حتىٰ شاهدتُ إحدىٰ المقاطع المُصورة لأخٍ أُصيب هو ومن معهُ من إخوته، دخلتُ وتحدثتُ مع النَّاشر لعلي أصل إليهم، في تلك اللحظة تذكرتُ أولئكِ الذين قرأتُ عليهم قبل قليل، وضعوا هدف إنقاذ العائلات أمام أعينهم ولم يخشوا من مصاعب هذا الطريق وثابروا، حتىٰ ضَحّوا بأنفسهم، أنا طبيبٌ وما هي مُهمتي إلا إنقاذ الأرواح، فإذا بي أنتظر الرد إلىٰ أي مستشفى تم نقلهم لعلي أذهب وأقوم بالمساعدة، لم تمضِ سوىٰ دقائق قليلةٍ حتىٰ أتى الرد المُنتظر.

ذهبتُ بعد سماعِيَ للخبر مسافةٍ لا بأس بها حتىٰ وصلت إلىٰ عنوان المشفىٰ، لم أكن أتوقع ذاك الكم الهائل من الصحفيينَ والعائلات والجرحىٰ، بدأ الصوت بداخلي يتردّدُ سائلًا ما كُل هذه التضحيات أهذا حُبُ وطنٍ أم فناء لهُ؟

دخلتُ بسرعةٍ لا أعلم أين تذهبُ بي قدماي، أرىٰ الدماء المتناثرة علىٰ الممرات وصوتُ البكاء الذي طغىٰ علىٰ المكان، نواحُ أمٍ تستنجدُ بالطبيب لأجل ابنها، لم يكن هذا المنظر غريبًا علىٰ جراحٍ مثلي، ولكنني لأول مرة أندهش إلىٰ الحد، سِرتُ ناحية الجرحىٰ دون أن أنطق ولو بكلمة، كُلٌ منهم مَرميٌ علىٰ سريرٍ داخل الحُجرةِ الواسعة، ينتظرُ رحمةً تُنجيهِ من هذا العذاب، ظلّ يتردّدُ حسُّ البكاء علىٰ مسامعي، صرخات المصابين العالية، لم تكن هناك ولو ذرةُ هدوءٍ واحدة، أنظر بحزنٍ علىٰ الجميع، منهم من يحتاج إلىٰ بترٍ يديه أو إحدىٰ ساقيه، أعينٌ لا يظهرُ منها شيئًا سوىٰ الدماء، رؤوسٌ متحطمة من شدةِ الجروح بها لا يكادُ لون بشرتها يُرىٰ من كثرة الدماء الطاغية عليها، تألَّم قلبي لصوتٍ غير قادرٍ علىٰ الكلام، مُنهكٌ من البكاء، جسدهُ متمزقٌ لوهلةٍ تظنُ أن أحشاءَ جسدهُ ستقذفُ نفسهَ خارجَ بدنهِ، لم أكن أنوي الذهاب له ولكنني بدأت بالاقترابِ منه وبدأت أعي ما يقول.

أخي أريدُ أخي، أين هو أين تركتموه. _

لم أفهم سر تعلقه الشديد بأخيهِ حتىٰ علمتُ أنهُ هو نفسهُ الذي رأيتُهُ مع إخوتهِ بالأخبار هذا الصباح، كانت جروحهُ بليغةً وعميقة، ولكنهُ لم يهتم بنفسهِ أبدًا، طلبت حينها أن تأتي معي ممرضة من داخل المستشفىٰ لنقلهِ إلىٰ غرفة العمليات، كان في ذاك الوقت لا يُبصرُ شيئًا لا أعلم من أين أتى بتلك القوة ولم ينهار سوىٰ علىٰ أخيه وترك نفسه، أم إن الصدمة أنسته كل شيءٍ ما عداه، تم نقله إلىٰ العمليات وتخديرهُ بالكامل، للأسف فقد كلتا عيناهُ بسبب الانفجار، حاولت ترميم يدهِ اليُسرىٰ ولكنَّ حالها لا ينفع معه الترميم؛ لذا جُبرت علىٰ بترها، تألمت كثيرًا حينها حاولت بجميع قوايَ علىٰ تجبير جراحهِ كم وددتُ أن يخرجَ بأفضل حالٍ، ولكن ما كتبه الرحمٰنُ سبحانه سيكون، بعد العملية التي كنت أنا المشرف عليها بنفسي لم ألتفت لي أي

عمليةٍ أخرىٰ وضعت كل اهتمامي بهذه الحالة لعلي أكونُ سببًا لي نجاتهِ وعودته إلىٰ الحياة.

بعد العملية كانت حالته خطيرةً جدًا حيثُ أنه لم ينهض ودخل في غيبوبةٍ لحوالي سبعة أو ثمانية أيام، كُنت أنتظر استيقاظه بفارغ الصبر، دعوتُ له كما لم يدعوا لهُ أحد، ولم يكن بيدي شيء سوىٰ الانتظار.

في اليوم الرابع أتت إليّ فتاةً جميلة في حيائها، اقتربت مني ولم أفهم من حديثها شيئًا من شدة البكاء، طلبت لها ماءً وقلت لها أن تهدأ، تمتم لي بكلماتٍ قصيرة قائلة:

" هل مراد سيكون بخير؟ أجعله يكون أرجوك لا أستطيع العيش من دونه، حاولت أن أكون قوية ولو لساعات ولكنني أنهار كلما حاولت، لن يموت صحيح لن يموت، لا تجعله يموت بمَ أنتَ طبيبٌ إذًا لمَ درست ألم تدرس حتىٰ تكون سببًا في شفائهِ، لمَ أنتَ جالسٌ هنا بهذه الغرفة وتتمتعُ بجميع سبل الراحة ومن أحبهُ قلبي يصارعُ الموت تحت تلك الأجهزة بالغرفة الصغيرة "

لمَ لا تجعله ينهض؟ ليس لأجلي لأجل والديه اللذان فقدا ابنهما الأصغر، لأجل أخته، لأجل أصدقائه، لا تنقضه لأجلي، حسنًا؟ لأجلهم أرجوك لا تجعله يموت، وانهارت بالبكاء من بعدها.

علمت مدىٰ ألمها إذ قالت إنه حبيبُ قلبها، إذًا أخاه الذي كان معه قد توفاه الله، ماذا سأقول له إذا نهض سالمًا فكانت أول أسئلته بتلك الغرفة أين أخي؟ أين تركتموه، يا رب قويني، وأتيني من العزم والقوى ما أستطيع بهم أن أعالجه وأرجعه سالمًا إلى أحبّتهِ.

بعد اليوم السابع، أستيقظ مُراد، لا تستغربُ بمعرفتي باسمهِ فَفي الأيام الماضية بعد قدوم حبيبته وذكرها لاسمهِ ومع ترددها عليّ بدأت أخذ معلوماتٍ تخص حالتهِ، علمت أنها كانت خطيبته، كان من المفترض أن يوم زفافهم كان قريبًا، ولكن حالته لن تسمح له بذلك الآن، ماذا ستكون ردة فعله بعد أن يعلم ما حدث مع شقيقه، تقدمت إليه محاولًا إخفاء نبرة صوتي الحزينة قائلًا، كيف حالك يا مراد؟

بخير _

لم أعلم من أين أتاه الخير ولكن أتمنى أن يكون كذلك، كنت سأقول له شيئًا حين قاطعني قائلًا:

لم أعلم من أين أتاه الخير ولكن أتمنى أن يكون كذلك، كنت سأقول له شيئًا حين قاطعني قائلًا:

_لمَ لا أُبصرُ شيئًا ما هذا الكم الهائل من العُتمة؟ أين أنا؟.

انفجرت منابعُ الحزن بقلبي أنفطر من شدة الألم ماذا عساي أجيب لم أكن قادر علىٰ الإجابة أعتقد أنه سينهار حين سماع كل تلك الأخبار لذلك حاولت التهرب منها فقلتُ له: سأقوم بإعداد أوراق الخروج الآن وسنبدأ معًا بالعلاج بالمشفىٰ الخاص بي سأطلب إحدىٰ الطيبات لإعطائكَ المسكن الآن سأعود لكَ قريبًا.

بدأت بعمل علىٰ إجراءات الخروج، وطلب مني تعبئة وتوقيع الاستبيان لذا توجب عليا إحضار إحدىٰ والديه ولك أكن علىٰ حديثٍ متعهم طوال هذه المدة يأتي أصدقاؤه وخطيبته ولكنني لم أراهم هُنا، أخرجت هاتفي وحادثتُها بدأت بالاطمئنان عليها ومن ثم طمأنتها علىٰ مراد قائلًا:

ميام مراد بحالٍ أفضل مما سبق لك أستطيع إخباره ما حدثَ مع أخيه أو لك أكون قادرًا علىٰ توضيح ما قد حصل معهُ لذا سأعطيك أنتِ مهمةَ إخباره، تحدثت معاها قليلًا وطلبت منها أن تحادث والده للتوقيع.

أنتظرهُ لساعاتٍ ليست بطويلةٍ علىٰ البشر ولكنها طويلة جدًا علىٰ طبيبٍ مثلي يريد أن يطمئن علىٰ مريضهِ، أتىٰ والده وتحدثنا عن حالت مراد الصحية والنفسية وأعتذر لي كثيرًا علىٰ عدم زيارته، وتفهمت الأمر حين قال لي أنه مرض بعد وفاة ابنه، وبقى يرجوني أن لا يفقد ابنه الآخر.

بعد أربع ساعات كم حديثي مع والد مراد ذهبت للمستشفىٰ الخاص بي أتت ميام خطيبةُ مراد وطلبت من صديقي الدكتور علي رفيق طبيب أمراض نفسية أن يأتي أيضًا، كُنا جميعنا في انتظار سيارة الإسعاف التي تنقل مراد إلينا.

بعد نقلهِ لغرفته التي خصصتها له وسأنتظر قرابةَ الخمسة أو الستة أيام حتىٰ أبدأ بالعلاج الطبيعي معهُ، أم الآن التفتت إلىٰ ميام قائلًا لها: ها قد بدأت مهمتك كوني معه...

_ميام:

لا أعلم لم أستطع أن أرفض كلام الطبيب ولكن أيضًا لا أظن نفسي قادرة علىٰ هذا العبء، مراد الذي أحببتهُ كان معي خفت عليهِ من كل تلك الحروب، قلت له في مرةٍ: مراد أريد أن أطلبك في أمر.

مراد: ماذا؟ قولي وإن كُنت أستطيع فلن أمانع لذلك.

لا أريد أن تشارك في هذه الحرب؛ أرجوك لا تكسر قلبي فلن أستطيع تحمل بعدك أو غيابك لشهورٍ عني هذه المرة وحسب لا ترحل ابقَ معي.. ها قد أقترب زفافنا، أنسيت كُل تلك السِنون بمرارها وحلاوتها ضحكاتنا و دموعنا، لقاءاتنا السرية هدايانا؟ كُل هذا بعد أشهرٍ قريبة لن يكون كما مضىٰ سأتجول بين الطرق ويدي بيدك بعد فترةٍ من الزمان ستكون بيننا يدًا ثالثة ابنتي وابنتك يا عزيزي كُن معي لتحقيق هذه الأمنية والحلم الطفولي، كنت معي وبقيت هكذا فلا تتركني.

مراد: ميام لا أعلم ماذا أقول لك ولكن...

لا تقل شيئًا وافقني ولا ترحل عني أرجوك.

مراد: يبقىٰ هذا وطني ومن واجبي حمايتهُ كيف لي بفعل غير لذلك؟

وإن كان وطنك وإن كان فأنا حبيبتك ألا يكفيك كل تلك المرات الماضية عدم نومي ومرضي وبكائي ألا يكفي قل لي لمَ أنا دائمًا لا أعترض علىٰ قراراتك هل لكَ الآن أن ترد لي كل ما فعلت!

مراد: حسنًا سأفكر في هذا الأمر لا أعيدك بعد رحيلي إن لم أكن بداخل صفوف القتال فسأنضم إلىٰ الإسعافات والإنقاذ لذا لا تعترضي ذلك ولكِ ما طلبتِ.

ميام:

لم أكن أتوقع أنهُ سيرحل عني حتَىٰ بعد تنفيذه لطلبي إذًا أنا السبب؛ أنا سبب حالته هذه رميت رأسي بداخلِ أحضانهِ وهو مستلقي علىٰ السرير وبكيت كما لم أبكِ يومًا بحياتي، أعتذر يا مراد أنا سبب كل ما حدث معك أنا المخطئة كان علي ألا أقف في طريقك ماذا لو ذهبت لصفوف الحرب وعدت مجددًا بحالٍ أفضل من هذا كم أنا حمقاء ما كان علي فعل هذا ما كان علي التدخل لا أعلم لماذا كل اللذين أحبهم

يرحلون.. أرجوك لا ترحل أرجوك كن معي أنا أريدك كل ما فعلته من قبل كان من فرط حبي لا تخذلني عد لي أرجوك

...

شعرتُ بيديهِ تتحرك شيئًا فشيئًا فنهضتُ متفاجئة وقلت

مراد هل تسمعني هل أنت مستيقظ؟

مراد: نـ نـ نعم مـَ ميام

نعم ميام هل أنتَ بخيرٍ مراد اشتقت لك لا ترحل عني

مراد: أنـ أنا أحبك ميام

وأنا كذلك أقسم لك كُن بخيرٍ فقد ولا تقلق

مراد: أريدُ ماءً

جلبتُ له الماء علىٰ عجلتٍ مني ثم أردفت له قائلةً: كيف تشعر حبيبي هل أنتَ بخير؟

مراد: لا أعلم ولكن لمَ لا أرى؟ ما الذي علىٰ رأسي ولما لا يمكنني تحريكُ يدي حتىٰ اليد الأخرىٰ بكل صعوبةٍ أحركها.

لا عليك؛ لا تقلق كل شيءٍ سيكون بخير.

تحدث إلي من جديد بصوتٍ مليئ بالحزن: ميام تحدثي أرجوك لا أريد تكرار حديثي ما الذي حدث؟

مراد، مراد لا أعلم ما الذي سأقولهُ لك ولكن...

مراد: ولكن ماذا تحدثي، لا أتذكر شيئًا سوىٰ بعض الأحداث التي مررتُ بها، ميام أين أخي؟ كان بقربي أتذكر ذلك كُنت معه هناك كُنت في محاولةٍ مني لفكِ إحدىٰ الألغام ولكن بعدها لا أتذكر أعتقد أنه أتىٰ ودفعني بعيدًا، أتذكر ذلك، أين هو؟ أريد رؤيته والاطمئنانُ عليه.. خوذيني إليه ميام خوذيني إلىٰ أخي أظن أنه متضررٌ أكثر مني لأنه رمىٰ بنفسه أمام النيران والانفجار لحمايتي، خوذيني إليه أرجوك أريدُ رؤيتهُ ألا تسمعين أحادثك لا أريد سماع بكاؤك.. أريد أخي اذهبي وقولي له مراد يطلبك أو خوذيني إلىٰ أخي الآن..

ميام: مراد لا يُمكنك رؤيته أنا أعتذر.

مراد: لمَ ليس بهِ شيءٌ صحيح؟ أثقُ بأنه بخير لذلك أريدُ الاطمئنان عليه.

ميام فكرتُ قليلًا بين أن أخبره ما حدثَ أخوه أم أقول له حقيقةَ ما جرىٰ معه وأجيبه علىٰ تساؤلاتهِ التي ظلت من دون إجابة... فأردفتُ قائلةً بحزنٍ يتعاظمُ بقلبي وقلت: ولكنكَ لا تسطتيع أن تراني أو ترىٰ أحد لأنك لم تعد ترىٰ يا مراد.

أكملت كلماتي التي ينشقُ الجبل من ألمٍ ما فيها وبعدها رميتُ بجسدي علىٰ المقعد القريب ولم أستطع كتمان بكائي.

لم أعد أسمع شيئًا من كلمات مراد سوىٰ أنينُهُ من الألم حتىٰ بدأ بالصراخ قائلًا إن كنت لا أرىٰ فلما معي أعلم أنكِ سترحلين لمَ حدثَ كل هذا ستذهبين يا ميام ماذا عساك تفعلين برجلٍ أعمىٰ لا يبصرُ شيئًا منكِ أنهار مراد حينها من شدة بكائهِ وصرخاته المؤلمة لم يكن بوسعي سوىٰ أن أطلب الطبيب المشرف علىٰ حالته ها أنا اكملت مهمتي وكسرتُ قلبي لأجلكَ يا مراد كم أتمنىٰ أن تسترد عافيتك فطفلتك لن ترحلَ أبدًا...

الطبيب..

بعد ما علمت بأن ميام قد أخبرته بما حدث أحسستُ وكأن همًّا تشبثَ بقلبي قد زال وأتمنىٰ أن أكون قادرًا علىٰ البدأ بمرحلةٍ جديدة، عليّ الآن فحصُ حالتهِ جيدًا فلا أعلم ماذا سيحدث معه بعدما علمَ بهذا الخبر، أما عن جروحهِ فقد تماثلت بالشفاء ولله الحمد.. بدأت كسور يدهِ بالتعافي أيضًا، علينا الآن الاهتمام بحالته الصحية بعد أن أخبرته ميام بحالته ماذا سيحدث معهُ إذا علِمَ ما حدث مع أخيه! أحيانًا أفكر بأن لا أقول له حتىٰ يتعافىٰ وسأجعل مسؤوليتهُ بيني وبين خطيبته حتىٰ يتماثل بالشفاء ونبدأ معًا بالعلاج..

بعد يومين مِن معرفتهِ ووجود ميام بقربهِ تحسنت حالته بشكلٍ قليل، بدأنا معًا خطوات العلاج بقربِ عائلتهِ حاولت إقناع والديهِ، بإقامة عقد قرانٍ لهم لعلَّ الحزن يبتعدُ ولو قليلًا عنهم، دائمًا ما يرتاح مراد بوجودها َ قربها سيساعدنا علىٰ تحسين حالتهِ أفضل وأفضل، ساهم الطبيب النفسي في إقناع مراد بأن فقدانهُ لبصرهِ كان نعمةً من عند الرحمٰن ماذا لو فقد حياته وانتهى!

بعد وقتٍ من الزمن أخبر الوالد ابنهُ بما حدث وأخبره بحادثةِ وفاةِ أخيهِ قبل عقد القران، أنهار بالبكاءِ ولكنهُ تقبل الموضوع والجميع حاولَ أن يساهمَ في إفراحه وتصبيرِهِ، بعد أن اكتملت فرحتهم بالعقد بدأت رحلةُ العلاج المُكثف بدأ هو أيضًا بالتحسن واستعادة حركته شيئًا فشيئًا...

دائمًا ما تكون الحرب سببًا في شتات عائلاتٍ ومجتمعات، تدمر عائلات هذه العائلة كانت مثلًا بسيطًا وقليل من الملايين من الحالات المرضية وتأثير الحروب عليهم أيضًا، لطالما كانت الحروب مهلكةً لشعوب أكثر من الأوطان، لربما يمكننا ترميم البيوت، وإعادتها لحالٍ أفضل مما سبق، ولكن هل يمكننا أن نعيدَ فرحةً اختفت؟ أو نرمم عائلةً احرقت صدورها من هولِ ما رأت..!

تم كِتابة القصة من قبل الجراح سامي.

قصة بعنوان: أنا من؟

بقلم الكاتبة: مروة حرب المدكم

عاد الوقت أدراجه، زمالةً سوداء وظلال قاتمة اللون تقترب مني، يُفتح كتابًا بحجم كف اليد، يوضع على رأسي ويطلب مني قرأته، كيف ذلك؟

فتنبُت عينان من رأسي وأرى ما رأيت.

للمرةِ العاشرة يزورني فيها هذا الكابوس، أعود لأغفو ناسيًا أو متناسيًا أمره، فيعلو صوت أذان الفجر لتقشع روحي نور السكينة وتسكن أوردتي أرض السلام.

هذه كانت البداية، عند خط التقاء الأرض بالسماء وحقيقة كروية الأرض واختلاف الديانات، والغوص فيما لا يخص أساور المسلم.

جالسًا أمام عيادة الطب النفسي، قلق من نوعٍ حارق ينتابني من إصبع قدمي حتى بُصيلات شعري، وكأنني في مواجهة معا داموس نفسي.

تستقر عقارب الساعة على بعد خطوات من ناظِري، الأرجل المارة من أمامي وأصوات الهواتف والرقميات، كل ما حولي يتحرك، أظن أن الأرض تدور لا محالة.

عاد هوس التفكير ينخر بخلايا مخيخي، في حركةٍ سريعة أدرت رأسي يمينًا ويسارًا عدة مرات لعل التفكير يسقط مني ولو بذراتٍ قليلة فشعرت بأيادي تُمسك الأفكار لتُعيدها في رفوفها حتى أتيها محملًا بها.

إنه الدكتور "علي رفيق" أحد دكاترة الطب النفسي، مُترجل مُتفنن ينقش على نفوس مرضاه حُب الحياة بطريقة سرمدية، جئته زائرًا بحقائبٍ معبأةٍ بنوباتٍ... أظن أنه سيفجع باكتشافها.

أشار لي بإصبعه السبابة بما معناه إلحق بي، دقيقة دقيقتين كنت على وشك الهرب خطواتي تسحبني لاتجاه الخروج بينما بقعة الخطر تجذبني باتجاه الدخول، فوقفت

هاربًا من هربي ولحقت بالدكتور، يسير أمامي وأنا وراءه في تعدادٍ معا خطوات قدميه ومكعبات البلاط وقدماي!

أشار تانيتًا بالجلوس، أمقت الحديث بالإشارات فهذا في لغة الصبيان معناه لا أُلاطفك وأنا مريضك يا هذا.

بدأ حديثه بالسلام فشردت بما أرد عليه بأي تحية وأي ديانة!

ها قد عاد الظل الأسود والكوابيس ومتلازمة الموت، أرتعد، أرتعش، أصرخ، أدمر، أقتلع الكراسي والطاولات والأوراق ألهث والدكتور في حالة فزع يحاول تهدئتي دون جدوى، ساعة... ساعتان حتى تم حقني بمنومٍ ودخلت في سُباتٍ عميق.

منذ ذلك اليوم وأنا نزيل لدى العيادة دون إدراكٍ؛ عدم استيعاب الدكتور كيف لمريضٍ أن يعيش داخل نوبات بمجرد إلقاء السلام عليه؟

صباحًا أقشعت عيناي الضوء الرمادي أثر ستائر رمادية تُغطي الشمس، أسِرة متعددة عليها مرضى، ولو كنت منصفًا فلا تنعتهم بالمرضى إنهم ضحايا الحياة لا أكثر.

لممت قدماي نحوي بعض الخوف ممزوج بالفتور؛

صددت باتجاه الحائط هربًا من تفسير طوائف المقابلين.

جاء الطبيب "علي" مبتسمًا ويلقي التحية للمرة الثانية، لم أرد وبقايا نثر أحرف من التوراة والإنجيل واليهودية تقفز أمامي، يعيد السلام وجسدي ينفث ظالته ليرى ليصحو ليرد تحية الإسلام، لكن غرقي لم يكن عاديًا كنت مهشم أثر اكتشاف الديانات.

ط.علي:

يتردد العديد من المرضى يوميًا على العيادة، أرى قصص أغرب من الغرابة ذاتها، محاولات الانتحار تتزايد، الهرب من النفس، الخروج من العقل.

تضاريس الحالات تختلف وأنا القاضي في قضية المريض والحياة، أنا قارب النجاة أحيانًا وأحيانًا الهاوية، أنا المهرب وملزم بإيجاد الحلول.

كونك مريض نفسي في مجتمع ينعت المرضى النفسيون بالجنون فهدا أمر يكبح نفسك عن فكرة العلاج والتردد على الدكاترة، تُمارس ضياعك لإرضاء الناس.

ككل يومٍ مريض يليه المريض، لكن هذا المريض كان مُفترس في جلوسه في نظراته في هيئته، قبل دخوله خرجت له وكأنما روحه تستنجد بي وأنا سمعتها، في ربع دقيقة دار التفكير في رأسي ما أسباب مرضه؟ عدة أسباب هرولت أمامي، لكن السبب الحقيقي لم أتخيله يومًا.

دخل "أسعد" بعد مناداتي له عدة مرات لم أشاء محادثته أو توصيل موجات صوتي لغلاف نفسيته، بقيت صامتًا لإزرع في نفسه بعض الطمأنينة لكن سرعان ما شعرت أنه قلق، قلقٌ جدًا.

تمالكت نفسي حتى لا أكون الفضولي في المبادرة والسؤال، لوحت له بالسلام.

ما إن ثقب سلامي أُذناه حتى رأيته يهوى أمامي كقنفذٍ يتكور من صيادٍ في الغابة، ما يمكن أن يكون غريقه وسفينة الكلام قد هوت به إلي القاع، ماذا؟

أدخلته للعيادة على أنه زائر مقيم، حتى أكتشف ظلال شمسه ما هو خيالُها؟

في الصباح الباكر أقفز السُلم بكل ما أوتيت من سرعة أتسابق مع الأزمنة لأقبض على الروح الشريرة التي سكنت جسد مريضي، يا تُرى ما اسمه؟ فبعض الأسماء تُلاحقها لعنةٌ أبدية في النحيب والبكاء والاكتئاب.

ألقيت السلام على من في الغرفة وعيناي مُعلقتين بذاك المريض وردت فعله، لاحظت تمتمت شفتاه كمن يريد رد السلام وشيءٍ ما يمنعه، أقتربت إليه وقلت: هل لك أن ترافقني للحديقة، فأنا وحيدٌ جدًا ولدي بعض الأحاديث التي أود مشاركتها مع أحدٍ لا أعرفه.

رافقني في صمت في هدوء، فقط صوت جرير أقدامه يُستمع في تلك اللحظة من الصباح.

جلست على طاولة مستديرة وجلس هو قِبالتي، ليدور حديث بيننا لن أنساه ما دمت حيًا.

ط.علي: ما اسمك؟

المريض بعد صمت: اسمي "عاتق" دون معنى.

ط. علي: أسمك غريب كغرابة صمتك تمامًا، من أسماك بهذا الاسم؟

عاتق: الغريب أن تعيش في كنف الغرابة حتى بين حروف اسمك، أسماني جدي المسيحي، بعد أن أطلق على جدي المسلم عدة أسماءٍ لذيذة إن أمكن.

ط.علي: وما هذه الأسماء التي جعلتك تربط اسمك بالدين؟

عاتق: ساجد، هادي، مؤمن، إنهم يريدون وصفي حتى في اسمي أتتخيل؟

ط.علي: أتحب جدك، أم ستروي لي حقيقة الأمر الذي أوصلك إلي هنا.

عاتق دون تردد أطلق أحباله الصوتية قائلًا: يـااه يا دكتور علي كنت أظن أنك شخصًا فضولي اتجاه مرضاك، لكنني اكتشفت أنك ذو صبرٍ طويل حتى إنه لديك وقت لتسأل عن الحب.

د.علي متعجبًا من أمري أهذا مريضٌ أم هو الدكتور؟ من يستجوب الآخر في حين ضياع الأسباب الحقيقية.

أرذف الدكتورعلي: لِمَ أتيت إذًا؟

عاتِق بتهكم: لأنني أريد المجيء ليس إلا.

ط.علي: يمكنك الانصراف إن أردت، لكن لا تعود فالأبواب التي تُفتح بكاملها أول مرة لن تُفتح مرةً أخرى أمامك.

عاتِق: ما ذنبي إذًا؟

ط.علي: تحدث وسنكتشف من المذنب يا عاتق.

عاتِق: أرض السلام وشجرة الأرز لبنان-بيروت- طفلٌ تواجد أثر خطوةٍ ليست بحميدة هذا ما قالته أمي في لحظة نقاشٍ حاد مع والدي.

كنت الحصان الذي تمتطيه أمي لتذهب إلي الكنيسة ويمتطيه والدي ليذهب إلي المسجد، كنت اللوحة التي تخط عليها أمي حروف التوراة والإنجيل ليُمحيها والدي ويخط عليها حروف القران، كنت النِصف المنكل به وهو حي بين عائلة أمي وعائلة أبي.

كيف أروي لك حقيقة وجود شخصٍ دون وعي بين أمورٍ أضخم من فهمه، كأن تقع بين يدي عصابة مُسلحة وأنت طفلٌ مدلل، تتسارع السنون ويتسرع معها نضجًا غير متكامل نضج يسعي لمعرفة أين هو من كل هذا؟

في سن الثامنة عشر كنت أشعر وكأنني مسلمٌ بفطرةٍ ما، فطرة داخلية تنتحب داخلي للخروج ولكن لما أمي ليست بمسلمة؟

العديد من الأسئلة التي كان لها الفوز الأعظم بإنهياري، وعدم اتراني.

لم أجد نفسي إلا بين الكتب والمكتبات الضخمة، بين الورق والحبر الملطخ بين الحقيقة والتحريف، تمر أيامي أهرول من مكتبة ناشرون لبنان حتى جامع المجيدية وكنيسة سيدة النورية، ليس هذا فقط إنما أبحث عني، عن حقيقة تواجدي، أين أجدني، ومن أنا.

واخيرًا أنفصمت عن كوني بشر، بل أصبحت كتلة من اللاحقيقة واللاوجود.

ط.علي: عجبًا! من هول ما تُعاني، ولكن أخبرني لما جاء حجزك في العيادة باسم "أسعد"؟

عاتِق: ربما يأتيك باسم أحمد وربما باسم إبرام، كل الأسماء مُتوقعة إلا "عاتِق" إلا حقيقتي إلا أنا؛ أُمارس فن الهروب مني، الخروج من نفسي، أحبذ التواجد بما ليس أنا، بغير عاتِق الذي تهشم أثر عائلته الغير متزنة، عاتِق الدواسة التي يدوسها والديه "لمحو أخطائهم المتفاقمة كل يوم تحت مسمى "من يجعل عاتِق يموت أكثر.

ط.علي: من المؤسف أن عائلتك هي السبب الأول والأخير، كان من الممكن أن يضعُك في المقدمة وأنت من يرسم خُطاك، كان من الممكن توضيح الرؤية لك واحترام اختياراتك، من المؤسف جدًا أن تبحث بنفسك وتكتشف بنفسك دون وعي وهم في خلافاتهم الدينية يغرقون بينما أنت تغرق.

عاتِق: المؤسف أكثر أن يجعلوا ديني سبب مرضي، من المؤسف أن يجعلوا مني تركيبة مفخخة بالقلق والخوف والهرب دون استحياء أو شعورٍ بالذنب.

ط.علي: وماذا أكتشفت ايضًا؟

عاتِق: اكتشفت أن الوالدين الأحق بالزاوية الأولى لأدراجنا الدينية على أيديهم نُبنى حجرةٌ حجرة، على أيديهم فقط نقشُع حقيقتنا البشرية، الوالدين السبب الأول والأخير فيما نحنُ عليه.

ط.علي: ما دوري الآن؟

عاتِق: أتيتُك فقط للحديث ليس للعلاج؛ فجروح العائلة لا تُعالج أبدًا أبدًا.

ط.علي: أتعلم أنني أراك المعالج لا المريض؟

عاتِق: كُنت سأكون شخصًا رائع لولا ضياعي.

ط.علي: حتمًا سأراك في مكانٍ مرموق يليق بِفكرك لا مرضك.

هم عاتِق بالنهوض رمق الطبيب بنظرةٍ أخيرة قائلًا: سنلتقي، وسأُلقي عليك السلام بشاطئ وصولي، وسأُخبرك بأنني شاكيك لا مريضك، وداعًا.

تسمر الطبيب علي في مكانه بعد رحيل عاتِق، سارحًا كيف يمكن أن تُقلب الأدوار بين المريض والطبيب؟ كيف أُصبح أنا المريض بعد ما كنت المعالج؟ كيف تهتز دواخلي أثر عُمق شخصٍ كان من المفترض أن يكون يحتاجُني لستُ أنا من أحتاجه.

"جروح العائلة حتمًا لا تُعالج لا تُعالج أبدًا يا عاتِق".

قصة بعنوان: سجينة في المنزل تسعة.

بقلم الكاتبة: إيناس فتحي بكه.

فِي تِلك القَرية الخَالية، بَين تِلك المباني المَهدومة، وأصوات الرِياح المُخيفة، طِفلة فِي أرجاء الغُرفة، وحيدة تَدعي السَعادة أمام تِلك المِرآءة.

مَرحبًا سِبتموس كَيف حَالك اليوم؟

أنا بخيرٍ، أشعر بالسعادة وأيضًا أُمي تَحميني وبَقائي هُنا أفضل، تَعلم هذا أليس كَذلِك؟

هَل أنت موجودٌ مَع صَديقتك؟

سبتموس لماذا لا تُجيبني؟

عذراء.. عذراء

هَا قد أتى صَديقي الغريب ابقَ هُنا يَا سِبتموس سآتي بعد قَليل.

بِخُطواتٍ مَهزوزةٍ وقَلب مُرتجف، فِي كُل خُطوة تَتسارع أنفاسُها ويزاد مستَوى الادرينالين لَديه.

هَذا اليوم مُميز فإني سأخطو أول خُطوةٍ خَارج المَنزل لِأول مَرةٍ.

الطَبيب: ماذا حَدث بعد ذلِك؟

عذراء: صَديقي يُخبرنِي أنك لَست مِن الجن .. مَن أنت بِحق السماء؟

الطَبيب: هَذِه المَرة السادِسة والعِشرون التِي أخبركِ فيها أنني من الإنس، أنا وأنتِ مِن نَفس الفَصِيلة.

عذراء: إن كُنت مِن الإنس فاعلم أنني سَأموت فَور إخبَارك بِما يَحدث فِي عالم الجن.

الطَبيب: أنتِ تَمزحين أليس كَذلِك!

عذراء: هَل هَذا مكانٌ مُناسب لِلمُزاح؟ حتمًا لا، دَعنا نُكمل بَاقي القِصة.

فِي ذَلِك اليوم رأيت ضوء النَهار لأول مَرةٍ دُون أن تُخرب قضبان النَافذة ذَلِك المَنظر، أتفحص تُراب الحَديقة، وأتأمل المَنازل المُحطمة التِي بِجوارنا، كَان ذلِك المَنظر جَميل بالنِسبة لِطفلة أمضت حَياتَها كُلها داخل منزل ولَم تُقابل أحدًا فِي حَياتِها.

يَبدوا أن نَسيم الحَرب مَر مِن هُنا، فإن كُل المَبانِي التِي بِالجوار مُحطمة.

هيا بنا إلى ذلِك المَكان.

ولكن اتفاقنا كان أن نلعب فِي الحديقة ونفترق قبل أن تأتي أمي.

هَل تُريدين الحُصول على أصدِقاء؟

نَعم ولَكن..

لا تَتحدثي كَثيرًا فَقط اتبعينني.

فقط أخبرني لِماذا نَتجه إلى ذلِك المَنزل المُحطم؟

إن كُنتِ سَتُتَرثيرين كَثيرًا عُودي إلى سِجنك المَشؤم.

ذاك السجن مَنزلي وهُوا يَحميني.

مِن مَن يَحميك أيتها المِسكينة؟

هَيا لِنذهب اقترب موعد قُدوم أمي.

اتبعت صَديقي الغَريب إلى هَلاكِي المَحتوم، ورأيت عَالمًا غَريبًا، مَخلوقات لا تُشبهني، أين أنا؟

مَرحبًا بِك فِي عَالمي، عَالم الجن.

مَن هؤلاء؟

إنهم قَومي يا أيتُها الإنسية، إياكِ وَالخَوف.. فإن الخَوف غِذائِهُم.

يداي يا صَديقي لَونُهما يَتغير إلى الأزرق.

أصابتكِ لَعنة أرض النَار..

الطَبيب: مَا لَعنة أرض النار؟

عذراء: أنَا الآن أستطِيع رؤية الجَان والتحدث معهم.

الطَبيب: هَذا مُستحيل..

عذراء: أتتذكر الفَتاة التِي انتحرت هُنا فِي العَام المَاضي؟

الطَبيب: كَيف عَلِمتِ بأمرها؟

عذراء: هِي الآن بِجوارك وتنظر إليك وتَبتسم.

الطَبيب: مَاذا؟

عذراء: يَبدوا أن هَذه الغُرفة شَهدت عَدد كَبير مِن الضَحايا.. لا أزال أرى دمائهم المُلطخة وأصوات صَريخهم.

الطَبيب: أخبريني أكثر عَن عالم الجِن.

عذراء: لا أستطيع، سيقتلونني إن أخبرتك عَن أسرارهم.

الطَبيب: هَل هُم هُنا؟

عذراء: هُم فِي كُل مَكان.

الطَبيب: مَاذا حَدث بعد ذلِك؟

خَرجتُ سَريعًا مِن ذلِك المَكان قَبل عَودة أُمي.. عُدت إلى غُرفتِي لأحكي مَا حَدث مَعي لسِبتموس.

أتعلم يا سِبتموس اليَوم رأيت السماء بوضوحٍ، وأيضًا تَحسست التُراب، أشعر وكأنني استنشق الهواء لأول مَرةٍ، صَديقي قادنِي إلى عَالمِه، لَا أعلم إن كَان مَا رأيتُه طَبيعيًا عِند الخُروج مِن المَنزل؛ ولَكنني أقسم أنَهُ رَهيب، وقَصصت لَهُ كُل مَا رأيت فِي أرض النار

الطَبيب: من يَكون سِبتموس؟

عذراء: صَديقي الوفي الذي يَسمعني فِي كُل حِين.

الطَبيب: كُنتِ مَعزولة عَن العَالم، كَيف أستطاع سِبتموس الوصول إليك؟

عذراء: لَا تقلق سَتعلم مَن يكون سِبتموس فِي نِهاية القِصة.

السَعادة غَمرتنِي لِفترةٍ حَتى تدخلت أمي فِي الأمر.. أم أقول سَاجنتي!

مَاذا فَعلت طِفلتي الجميلة فِي غِيابي؟

أنا وسبتموس قرأنا فَصلًا آخر مِن الكتَاب الذِي ابتعتهِ لِي العَام المَاضي.

تقصِدين الأسبوع المَاضي.

تَعلمين أنني لا أعلم الفَرق بينهُم.

سأُعيد السؤال وأتمنى مِنك قَول الحَقيقة.. مَاذا فَعلت طِفلتِي الجَميلة فِي غِيابي؟

قرأت فَصلاً مِن ذلِك الكِتاب.

أنا أعلم إن كُنتِ تَكذبين أو لا مِن عَينيك.. أخبريني لِماذا حِذاؤك مُلوث بالطين؟

رأيت قطَرات الماء تَتساقط مِن السماء..

أتقصدين المطر؟

هل يُدعى مَطر!

أكملي مَا قصة الحذاء؟

لا شيء، أعدت المشهد فِي حَوض التُراب الذي أنشئته لي.

إن فَعلتِ شيء كَهذا مَرةً أخرى سأغلق تِلك النافِذة ولَن تَري أي ضوء مُنذ الآن، وأيضًا سَتخسرين سِبتموس.

لَا لَا، لَن أفعل شيء كَهذا أبدًا.

هَذا لَا يليق بِك وسَيتسبب لَكِ بالمشاكل والانحراف.

أمي هَل أستطيع أن أطرح عَليكِ بَعض الأسئلة؟

أتمنى أن تَكون أسئلة ذات فائدة وإلا سَيكون العِقاب قَاسٍ.

كُل أبطال هَذه الكُتب يَملكون عَائلات وأصدقاء ومَعارف، وأيضًا جميع الشخصيات تَذهب إلى المدرسة أو الجَامعة وتَتزوج أيضًا، لِماذا أنا لَست مِثلهُم أنا عائلتك وصَديقتك، أنتِ ذكيةٌ أساسًا، لَستِ بِحاجة للتعليم، خَارج البَيت هُناك وحوشٌ وحَياة خَطيرة لَا تُلائمُك، إياك أن تُفكري فِي الخُروج لِلحديقة حَتى.

مَا الإنترنت؟

إن فَكرتِ فِي هَذا الشيء مَرة أخرى أقسم أنني سَأحرقك، مِن اليوم لَن تَقرأي أي كُتب، لَا أريد أن تُصبحي عَاهِرة.

ولكن..

إنها السابِعة اخلدي إلى النَوم.

وَلكنني جائعة!

أخبرتُكِ سَابقًا إن لَم تَكن الأسئلة ذَات فَائِدة سَيكون العِقاب قَاسٍ، والآن اخلدي إلى النوم.

بِقوانينٍ صَارمة وَغبية عِشت فِي ذلِك المَنزل، لَا أعلم مَن يَكُون والِدي وأخشىٰ أن أطرَح ذلِك السؤال، أعلم أنَ العَالم فِي الخَارج لَيس كَما تَصِفهُ أمي وأن مَا أراه فِي عَالم الجن لَا يُناسبني كَوني مِن البَشر، وعَالم الخَيال الذِي أتصوره فِي ذِهني سَيبقى خَيال لِلأبد.

اليوم أنا أبلغ مِن العُمر تِسعة عشر رَبيعًا، حياتي بَاتت صَعبةً لِلغاية، عَالم الجِن بات يَخنقني وأتمنى نِسيانهُ.. صَديقي الغَريب يُريدني أن أستقر فِي عَالمهم للأبد بِحُجة الحُب، وأنا وَافقت لِكي أهرب مِن هَذا الجَحِيم، ولَكنني أخاف مِنهم ومِن طُقوسهم؛ أي أنني كَسجينٍ خُفف حُكمه مِن الإعدام إلى السِجن المؤبد، الجَميل أنهُ أصبح لَدينا جِيران بالقرب مِنا ولَديهم ابن فِي سني تَقريبًا، هُم لَم يَروني يَومًا، ولَكنني أراقبهم دائمًا، أمي تَوقفت عَن مُعاقبتي بجِرماني مِن الأكل وأصبَحت تُطفيء السيجارة على يداي، عِندما أبلغ الخامسة والعِشرين سأنضم لِأرض النار وأكُون أول إنسانة تَصل إلى المجلس.

الطَبيب: مَا المَجلس الذي تَتحدثين عَنه؟

عذراء: أظنُ أنك مِن عَالم الخَيال.

الطَبيب: هَل تُريدين أن تُصيبيني بالجُنون؟

عذراء: سِبتموس أيضًا كَان يقُول هَذا.

الطَبيب: هل كَان مِن البشر؟

عذراء: تِلك المَرأة هِي الوحيدة التِي كانت مِن البشر.

الطَبيب: أتَقصدين أمك؟

عذراء: نَعم، ساجِنتي.

الطَبيب: مَا سبب ذَلِك الحَريق؟

عذراء: يَجب أن تتعلم الصبر.

فِي ذلِك اليوم أخبرتني أمي أنها سَتتأخر خَارج المَنزل؛ لذا قررت أن أقابل النَاس الَذين يَسكنون بجِوارنا، أخذت قَلم الحمرة مِن غُرفة أمي لأول مَرة.. تَزينت وذَهبت مُسرعةً إليهم.

عَذراء: هَل أنت مِن البشر؟

جيسون: مَاذا؟

عذراء: هل تَمكثون هُنا؟

جيسون: نعم، ولَكن مَن أنتِ؟

عذراء: أسكن هُنا بالقُرب مِنكم.

جَيسون: أرى تِلك المرأة الشمطاء كُل يَومٍ، ولَكن لَم تسبق لي رؤيتك، هَل كُنتِ خَارج المَدينة؟

عذراء: عَليّ العَودة إلى المَنزل.

.جَيسون: يُمكنني المجيء مَعكِ إن أردتِ

عذراء: مَاذا؟

جَيسون: لِنصبح صَديقين ونَتبادل أطرَاف الحَديث.

عذراء: لَديك عَشرة دقائق ثم سَتعود لِمنزلك فَورًا.

هَكذا أهملت أرض النار وتَوقفت عَن الذَهاب إليها، فإني سَعيدة جِدًا بأول عَلاقةٍ بَشرية أُشكلها، أنَا وجَيسون أصبحنا قَريبين جِدًا، وأصبح يَعلم كَيفية الحَياة التِي أعيشها ولَكنني لَم أخبره عَن عَالم الجِن، فإن تَصديق شيء مِثل ذلك صَعب جدًا.

جَيسون: مَتى ستُخبرين أمك عَني؟

عَذرآء: هذا مُستحيل.. الآن عَليك مُغادرة المَكان قَبل أن تأتي أمي.

جَيسون: حسنًا، سَنُنَاقِش هَذا المَوضوع لَاحقًا.

عذراء: نَلتقي لَاحقًا.

جَيسون: غَدًا سأتجول بِك فِي أنحاء المَدينة بَعيدًا عَن هَذه الخَرابة.

أثناء خُروج جَيسون كُنت أراقبهُ مِن النافِذة، وأمي كَانت قَادمة نَحو المَنزل، كَانت عَلامات الذُهول وَاضحة عَلي، جَيسون خَرج أمام أمي ولم تُلاحظه!

وسط تِلك التَسآؤلات نَسيت مَحي تِلك الزِينة التِي وضعتهُا لأجل جَيسون، أقف وسط المَنزل مُتجمدة أنتظر مَصيري الآتي بعد رؤية أمي لجَيسون.

أمي: مَا هَذا؟

عَذرآء: لَن يتكرر هَذا الشيء.. أقسم إنني لَن أخطو خُطوة خَارج غُرفتي، فَقط ارحميني.

أمي: كَيف سأغفر لَكِ أيتُها العَاهِرة؟!

عَذرآء: لَم أخطيء يا أمي.. لَم أخطيء

أمي: لمن تَتزينين أجيبي لِمن؟

عذراء: هَل تَتحدثين عَن الزينة؟

أمي: هَل فعلتِ شيء آخر مِن ورَائي؟ هَل خَرجتِ للحديقة؟

لأول مَرةٍ أسعَد بحرائق السِيجارة التِي فِي جَسدي ولَكن... كَيف لَم ترَ أمي جَيسون؟

لَا يهم ذَلك.. المُهم أنهُ مَضى، والجَميل فِي ذلك غَدًا لَن أخرج مِن البيت فَقط بل مِن القَرية كُلها، هَذه سَتَكُون مُجازفتي الكُبرى.

سِبتموس هِذه قَد تَكون آخر لَيلة لِي فِي هَذ المَنزل أو هَذا العَالم، وَلكنني لَن أندم عَلى الأقل أغادر الحَياة لأجل شيءٍ أحبه واخترته، كُن بخير لأجلي يا سِبتمُوس.

تِلك كَانت أطول لَيلة فِي حَياتِي؛ إما الحُرية لِوقتٍ قَصير أو البقاء فُي هَذا القفص وسط الخَوف مَدى الحَياة.

انتظرت حتى غَادرت أمي المَنزل وخَرجتُ مُسرعة لِمنزل جَيسون، لَا أريد تَفويت دقيقةً واحدة حَتى، جَيسون لَم يَكن يَنتظرنِي أمَام المَنزِل لِذلِك اضطررت أن أطرق البَاب، خَرج رَجل فِي سن السِتين تَقريبًا، مَلامحهُ تُشبه جَيسون قَليلاً يَبدو أنهُ والده.

عذراء: مَرحباً يا سَيدي، أدعى عذراء صَديقة جَيسون.. هَل بإمكانُك إخباره أنني أنتظره؟

بدأت عَلامات الشُحوب والتَعجب تَظهُر عَلى الرجل وكَاد أن يُغمى عَليه.

عذراء: أتحدَث عَن جَيسون شَاب فِي سني، شعره أشقَر.

هَل تَسخرين مِني؟

عذراء: فقط أخبر جَيسون بِقدومي وهُو سَيُخبرك مَن أكون.

جَيسون تَوفيَ فِي حَادث سَير مُنذ خَمسة سِنين، وأنا أعيش هُنا بِرفقة زَوجتي فَقط.

عذراء: وَلكنني التقيته بالأمس!

أنتِ فَتاةٌ، مَجنونة غَادِري مَنزلي فَورًا.

وَسط ذُهول خَرجت، عَقلي فِي خِصام، قَدماي تَسيران بي نَحو المَجهول، فِي المنتصف أقف يُقابلني صَديقي الغَريب الذِي لَم أره مُنذ مُدة طَويلة، وفي الجهة اليُمنى أُمي تَعود مُبكرًا عَلى غَير العَادة، يَبدو أن هَذهِ هِي النِهاية.

الطَبيب: لَم أستَوعب! كَيف وَصلتِ إلى هُنا؟

عذراء: أنت لَست مِن عَالم الجن لأنكَ لَا تَستطيع رؤيتهم، ولكن مَا الدليل أنَك لَست مِن عَالم الخَيال؟

الطَبيب: ولِماذا لَا أكون مِن العالم الواقعي مِن البشرية؟ أنتِ لَست مِنهُم يا عذراء.. أنتِ تَنتمين لِهذا المكَان ولِهذا المُجتمع، تَوقفي عَن التَفكير فِي ذَلِك الوَهم.

عذراء: أنت تَجلس هُنا لِساعاتٍ طويلة حتى تستمع للشيء الذي تُسميه وَهمًا! ألا تَشعُر بِالغباء؟

الطَبيب: لَولا تِلك الظروف التِي عِشتها بالتأكيد كُنتِ سُتصبحين شخصية ناجِحة تُتقن فُنون الرد.

عذراء: هَل تَمدحُني؟

الطَبيب: نَعم، ولِمَ لَا؟

عذراء: لَا تَفعل ذَلك، فأنا لَا أحب تِلك الشكليات.

الطَبيب: تَبقى نِصف ساعة لِتنتهي جلستنا.. الأفضل أن تُكملي هٰذهِ القِصة قَبل انتهاء الوقت لِننتقل في الجلسة التالية إلى العِلاج.

عذراء: أنتَ مَن تَحتاج إلى علاج لَست أنا.

الطَبيب: حسنًا أنا أقبل بِهذا، شرط أن تَكوني أنتِ دُكتورتي النفسية.

عذراء: هَذه المهنة بِحسب وجهة نظري تَحتاج لِغباء وفضول ليس إلا، وأنا لا أملك الاثنين.

الطَبيب: هَل تَقومين بإهانتي؟

عذراء: هَل تُريد سَماع بَاقي القِصة؟

الطَبيب: نعم، لنُكمل رجاءً.

حِينها قَال لِي صَديقي الغَريب يا ليتني أستطيع إنقاذك، ابتسمت وسط كُل الغرابة التِي أشعر بِها، ولم أعد إلى الواقع إلا وأنا أشعر بأمي تَجرني مِن شَعري إلى المَنزل وتَنعتني بالعاهِرة، ولكن فِي هَذه المَرة شَعرت بالقُوة.

أخبرتك تِكرارًا ألا تَخرجي مِن المنزل ولكِنك انحرفت ولَم تَستمعي لأوامري... أنتِ فَتاةٌ وَضيعة وَقذِرة، أقسم أني سأقتلك.

سَتقتليني؟

سأعذبُك لِدرجة تَجعلك تَتمنين المَوت.

أتظنين أني أحيا؟

اصمتي.

أجبتُ بِصراخ كاد أن يَسمعهُ العَالم كُله؛ لن أصمت.. لن أصمت.

مُنذ مَتى وأنتِ عَلى هَذا الحال يا أيتُها الوضيعة؟

مُنذ أن حَرمتيني مِن حَديقة مَنزلنا وجَعلتِني صَديقة لِتلك اللعبة الغَبية، مُنذ أن أخذتِ وسيلة سعادتي الوحيدة والتِي هِي كُتبي، مُنذ أن حَرمتيني مِن الأكل فِي سِن الطُفولة، مُنذ أن أطفئتِ أول سِيجارة فِي جَسدي، من أنا؟

بِحق هَذا الجحيم مَن أنا؟

هَل حَقًا أدعى عذراء؟

بأي حق تُطلقين عَليك اسم الأمومة؟

هَذه القَرية اَللعينة لَم أرَ أي مَخلوقٍ حي يَمر مِن هُنا حَتى بالخطأ.. تُعذبِين طِفلة بِطريقةٍ وحشيةٍ، ثُم تأتين لِتقولي عليها عاهرة؟

هَل أنتِ حقًا والدتي أم إنكِ جُزءًا مِن هَذا الجَحيم؟

تَبًا لَكِ ولأسئلتك لَن أغفر لكِ هَذا الخَطأ.

هَذهِ المرة أنا مَن سَيُعاقبك يا أمي.

خَرجتُ مُسرعةً مِن غُرفتها وأغلقتُ ذَلِك الباب عَليها، أسمع صُراخها وأعلم جَيدًا أنها لَن تَبقى طَويلاً فِي الدَاخل.

ذَهبت لِغُرفتي وأخذت الشيء الجميل الوحيد في المنزل سِبتموس، اتجهت إلى المطبخ وأخذت عُبوة البنزين ورششتُها فِي كُل المنزِل والباقي رَششتُهُ أمَام غُرفة أمي.

خَرجت أمَام المنزِل وأشعلت النار بِه، جَلست بَعيدًا وأنا أتلذذ بِحريق سِجني، صُراخها كَان كَالعزف عَلى إحدى الأدوات المُوسيقية بالنسبة لِي.

أسمَع صَراخَتِها وهِي تَستنجد ولَكن لَا أحد يَسمع.. لَم يَسمعوا صُراخي لِسنواتٍ، لا تتعبي نَفسكِ، لَن يَسمعوك أنتِ أيضًا، ذلِك الحَريق اتخذ مَسار لَم أتخيله.. سَيحرق بيت العجوزين!

أركض بقدماي دُون تَوقفٍ إلى مَكانٍ مَجهولٍ، بِمفردي أمضي خَارج القَرية لأجلب المُساعدة لأولئك العجوزين، قابلتُ بَشري وهُو مَن طَلب الإطفاء، عُدت إلى تِلك القَرية الخَالية مَع رجَال الإطفاء وأتساءل.. هَل جَلبت المُساعدة مِن أجل العجوزين أم لأجل أمي؟

بَعد مُرور ساعاتٍ طويلة أقف برفقة سبتموس أمام مَنزلنا، أطفئوا الحريق وللأسف استطاعوا إنقاذ أمي، ولَكن لا أعلم ماذا حَدث لِلعجوزين!

سيدي هَل أنقذتم العَجوزين؟

يا ابنتي هذا المنزل خالٍ، وبعد البحث في السجلات اتضح أن سُكان المَنزل قَد توفيا فِي العَام الماضي أثناء الحَرب.

ولَكنني قَابلتُهم فِي الأمس!

اذهبي واجلسي فِي سيارة الإسعاف، يَجب أن يَتم فَحصك.

التفت مَع سبتموس وعَقلي الذي كَاد أن يُصاب بالجُنون لأرى أمامي شخصًا غَير مُتوقع؛

جَيسون: هَذا يسمى بلَعنة أرض النَار يا جَميلتي.

عذراء: مَن أنت بِحق هَذا الجحيم، مَن أنت؟

جَيسون: أنا أحد ضحَايا هَذه القَرية المشؤومة.

اختفى جَيسون وجَعلني مصدر انتباه للجميع، وتم التأكيد على أنني مَجنونة بِسبب حالة الهيستيريا التِي مررت بِها.

الطبيب: هُناك جُزء مَفقود، لِماذا فَعلت والدِتك هَذا؟

عذراء: بَعد التحقيق فِي هَويتي اتضح أنها لَيست أمي، سَرقتني مُنذ أن كُنت رَضيعة وجَعلتني سَجينة لِعقلها الغير مُتزن، أخفتني عَن الجميع لِكي لا يَشكون بِها، عُذر غَبي مَن سَيتعرف عَلى فتاةٍ تم خَطفُها مُنذ تِسعة عَشر سنة؟

الطبيب: تبقَّى سؤالًا واحد لِنُنهي الجَلسة، مَن سِبتموس؟

عذراء: هَذا السؤال مُوجه لَك أنت، مَن سِبتموس؟

الطبيب: أنتِ حسب قَولك تائهة بَين عَالم الجن وعَالم الخَيال والعَالم الافتراضي!

عذراء: شيء مِن هَذا القَبيل.

الطبيب: مِن عالم الجن صَديقُك الغريب وجَيسون وعَائلته تقريبًا، ومِن العَالم الافتراضي أمك، تِلك اللعبة الغَبية التِي حَدثتي أمك عَنها هِي سِبتموس مِن عالم الخَيال أليس كَذلك؟

عَذراء: رُبما يكون هَذا صَحيح ورُبما لا.

الطبيب: تَنتهي جَلستُنا هُنا يا عذراء، نَلتقي لاحقًا.

عذراء: الفَتاة التِي زورت تَقريرها وأدعيت أنها مَجنُونة وأثر ذلِك وُجدت مُنتحرة، تَعِدك بأنها سَتنتقم مِنك يومًا ما.

الطبيب: كُنت مَجبورًا.

عذراء:كانت ضَعيفة و وَحيدة.

الطبيب: أقسم أنني ثُبت.

عذراء: كُل ساقٍ سَيُسقى بِما سقَى يَا عَزيزي.

قصة بعنوان: الذنب ليس ذنبي.

بقلم الكاتبة: ريحان ميلاد رمضان.

يعود زوج أمي ليلاً في وقتٍ متأخر جداً

لا تسمع إلا صوته العالي وعباراته القاسية على أمي وهو يقول ناقصة عقل حمقاء بشعة لحد الأعلى انظري لنفسك تستحقين الموت..

كُنت طفلاً حينها لا أفهم كثيراً، ويأتي غاضباً لغرفتنا أنا وإخوتي باسم ووسن ليبرحنا ضرباً، تحاول أمي الدِفاع عنا

يتركنا ويبدأ بضربها بطريقةٍ وحشية..

لاا لاااا، قمتُ مفزعًا من السرير، كاد الدخان يخرج من أدني، قلبت السرير رأسًا على عقب باحث عن أي شيءٍ أكسره..

أريد شيء أفرغ فيه غضبي..

الطبيب: المشاكل لا تنحل بهذه الطريقة هدِّ من نفسك

تهجم علي وقال: لا تقول لي ابني... لا تقول ابني

يتخبط على كتفي وبصوتٍ عالٍ:

أنا ابن الشوراع، أنا ابن الفقر والتشرد.

الطبيب: يكفي هذا يا وسيم، اشرب القليل من الماء تفضل، جلس على الكنبة وشرب الماء.

الطبيب: استريح قليلاً وانظر إلى النافذة

انظر إلى السماء والأشجار، تأمل في خلق الله وسوف نكمل باقي الحديث..

_دَائمًا ما أتذكر حبيبة قلبي في آخر لقاء وهي تقول "لن تعيش بهذه الطريقة ما دمت تلوم نفسك على أشياءٍ ليس لك لها ذنب".

وصورة والدتي في آخر مرة رأيتها فيها، صوت بُكاء إخوتي يتردد على مسمعي

وبصوتٍ عالٍ أصرخ، لن أغفر ولن أسامح من كان السبب في تدمير عائلتي ومستقبلي.

قام بتكسير النافذة ولم يشعر بإي وجعٍ، لكن الدم ملئ المكان، الأرضية، وملابسه، ويده ملطخة بالدماء.

الطبيب: إننا في أول جلسةٍ وفعلت كل هذه الفوضى، لن أسمح لك بالتعدي على الممتلكات العامة مهما أضطر الأمر.

فأنني لا زلت لم أفهم ولم أعرف عنك إلا القليل..

أعتقد اليوم يكفي، بالتأكيد يدك تألمك، سوف أنادي لك على الممرضة وبعدها انصرف، نلتقي غداً..

_وهو يحاول وقف النزيف قال: عفواً، أريد أن أكمل هذا اليوم وما تبقَ من الوقت في الجلسة ولا عليك فأنا جسمي مليئ بالجروح لأن جرح قلبي أكبر من تلك الجروح التافهه.

الطبيب: حسنًا، دعنا نوقف النزيف مؤقت وبعدها نكمل.

ضممت الممرضة الجرح وخرجت

الطبيب: دعنا نبدأ من البداية، ما اسمك؟

_ وسيم .

الطبيب: لِمَ أتيت إلى هنا بالتحديد؟

_هكذا كانت نصيحة حبيبتي لي، حاولت معي العديد من المرات لكن لم أجيد سمعاها إلا عندما رحلت.

الطبيب: ما مشكلتك؟

أسباب عديدة منها أريد الانتقام، وحرق كل من سبب لي الأذى واحدًا واحدًا، أريد _ أن أأعيش كإنسانٍ طبيعي، ينام لا يتألم يتذوق طعم السعادة، جرحي عميق يا طبيب ولم أجد له علاجًا..

ولن أغفر لمن جعلني هكذا

الطبيب: من هُم؟

_جميعهم، من كان السبب في تشريدي وعيشي بذل.

الطبيب: بمَ نصحتك الفتاة التي تعرفها؟

_نصحتني بأن أتعالج عند طبيب نفسي حتى لا تأذي أكثر من ذَلك، فأنا بعد فراقها زاد جرحي بالأتساع.

الطبيب: لماذا تريد أن تنتقم؟

تعرضت للكثير من الأذى، تخلى عنا أبي ونحنُ أطفال، ظلت أمي تعاني من _ خطيئةٍ ليس لها ذنب فيها، عشت في الشوارع ذليل، كُنت محط استهزاءً واستحقار للجميع، لم أنساهم قط كل من أوجعني ولو بكلمة.

أود أن أحفر حفرة كبيرة وأضع بها الأحجار والحطب ثم تلك المخلوقات البشعة وأسكب عليهم البنزين. وأضح كرسي بالقرب منهم وأشعل سجارتي ثم أقدفها في تلك الحفرة، وأستمتع بصوت صُراخهم وهم يطلبون النجدة وأنا أضحك بصوتٍ عالٍ، وكأني أتفرج على فيلم بشاشة d3صورة واضحة.

الطبيب: أريدك أن تخبرني بقصتك من البداية، وكيف حدث ولمَ وصلت إلى هذه الحالة؟

_ضحك بصوتٍ عالٍ

كُله هذا تريد أن تعرفه عني، وهل نسيت ماذا أخبرتك منذ البداية؟ أنني شخص غامض.

الطبيب: أعلم ذلك، لكن عليك أن تحادثني، أنا الآن كأني نفسك تخبرني كل ما في داخلك حتى أجد لك العلاج..

_بصوتٍ غاضب

أنني لست مريضًا حتى تبحث لدواء لعلاجي، أنا لست بمريضٍ، هم من جعلوني هكذا، للحد هذا وتوقف بتحدث معي بهذه الطريقة، انا المخطئ الذي أتيت إلى هنا..

قفل الباب بقوة وخرج

بَعدَ أسبوع...

الطبيب: سررتُ جداً عندما أخبروني بأن وسيم يريد مقابلتي، أنرت المكان بواسمتك أستاذ وسيم تفضل.

جلس وقدميه لم تتوقف على الاهتزاز..

الطبيب: أعتذر على تدخلي لكن ما الذي أتى بك إلى هنا؟

_لم تخبرني أنك صديقي!

الطبيب: صحيح

_حسنا أنا أتيت إلى صديقي حتى إن كانت صداقتنا في البداية ولا أعرف عنه شيئاً سوى اسمه، لكن لعلَّ وعسى أن تكون الصديق المناسب لي.

الطبيب: وأنا صديقك في أي وقتٍ، تفضل أنا هنا موجود لأجلك، حدثتني ماذا حدث معك في الأيام الماضية؟

وسيم: الأفضل لا أخبرك لأنه دارت بعقلي عددت أمور سيئة منها الانتحار، القتل، الخطف وغيرها من جرائمٍ إنسانية.

الطبيب: وحد الله.

وسيم: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

الطبيب: أريد منك الآن أن نتشارك معًا ألمًا وحزنًا وفي نفس الحين نبحث عن الحل، ما مشكلتك حتى نصلح الخطأ السابق؟

وسيم: كانت تقول إلي إلين الحل عند الطبيب النفسي وها الآن عندك أريد منك الحل، أريد أن أشعر بالفرحة والسعادة ليومٍ، أريد أن أخرج من كوابيسي وخيالاتي كل هذا مطلبي.

الطبيب: وبرأيك ما أفضل طريقة لإسعادك؟

وسيم: كثر، وسوف أخبرك اثنين منهم..

رؤية زوج أمي وهو يهرس تحت عجلات الشاحنة الكبيرة، ورؤية عائلتي وأبي في مشاكلٍ لا حدود لها، وأبي يتعذب بالقطعة في جسده..

الطبيب: ما سبب هذا الحقد؟

_انفعل بصوتٍ عالٍ

ليس حقد، ليس حقد... إنما هو أخذ حقي وحق حياتي التي ضاعت بسببهم، لن أغفر ولن أسامحهم أبدًا، مرت الكثير من الظروف، لم يتبقَ لي جهداً حتى أقوم به.. الجميع يتركني، الجميع يراني إنسان لا أصلح للعيش.

وانهمر بالبكاء..

_حتى من فتح لي باب أرى منه النور قليلاً ذهبت وتركتني وهما من كانوا السبب إن أذيتها وهي لا ذنب لها.

الطبيب: صديقي أنتَ لا ذنب لك بشيءٍ، أنت إلى الآن لم تحدثني عنك، كلها أحداث متقطعة.

وسيم: حسنًا، سأخبرك

كُنا نعيش حياة الملوك والترف، أبي تاجر ولديه شهرة بالسوق، ومع الأسف لم نحظَ العيش بين جناحيه، في ليلة وضحاها انقلب البيت وطردنا أبي خارج المنزل، ولمَ؟ وكيف؟ لا أحد يعلم، حينها أبلغ من العمر العاشرة بعمرٍ أدرك وأحفظ قليلاً، ولكن لا زلت ألهو وألعب، وأخي باسم يبلغ من العمر الثامنة، وأختي وسن صغيرة للغاية تبلغ من العمر أربع سنوات.

ومن بشاعة حظ أمي لم تجد سند من بيت أهلها، الجميع يشتمها ووضعها بصمة عارٍ على العائلة، حينها لا أفهم كثيراً، أعد لا زلت طفلاً، ومع مرور الزمن ومراجعة تصرفات زوجة جدي وإخوانها مع أمي تفهمت ما معنى تصرفاتهم وكم هي متوجعة، عندما أرسل أبي ورقة الطلاق مع المحامي، ليلة ظلمة مرت على أمي.

تعبت حينها وبكت كثيراً، أجبروها بالزواج من رجل في القرية وهو لم يرفضنا أن نعيش مع أمي، لكن لم يفعل بنا خيراً، كل ما هو سيء يخطر بعقلك فعله معانا تعرضنا للضرب، الحرمان، الجوع، العطش، البرد.

كم من ليالٍ باردة قضيتها بالشارع بسبب زوج أمي، كم من مرةٍ تعرضتُ للسخرية من قبل الأطفال بسبب ملابسي وحذائي الممزق، وكم وكم إن ظليت أحسب لن أكمل حتى ثلاثة أيام، وكل هذا لم ينسَ عقلي منه شيئا، أن تكون شخصاً عقلك يخزن كل ما هو مؤلم من الصعب العيش بحياةٍ طبيعية، ذات مرةٍ بالصف الثاني من التعليم المتوسط، طلبت منا معلمة الرياضة بنزع الأحذية حتى نتسابق في لعبة الركض،

لم أرمِ حذائي في البداية، لكن المعلمة أصرت عليّ، رميته بكل حياء وبدأ الصف بضحك على جوربي الممزق، واحدٌ من الطلاب بدأ بتهكم عليّ، امسكت نفسي ولم احتمل، تفجرت عليه وضربته ضرباً ممبرحاً لم يستطع إيقافي إلا بعد ما شفيت فيه غضبي، طردتني المعلمة وارسلتني لغرفة المدير، بمجرد دخولي إلى الغرفة دخل خلفي رجل بالزي الرسمي ومعه طفله الأنيق المهذب، شعرت بشعورٍ تجاه ذلك الرجل، شعور غريب جداً.

ولم أجد إلا المدير يوزع الابتسامات ومرتبك وكأن رئيس الدولة دخل عليه يتحدث الرجل بالفصحى، وكأنه في نشرة الأخبار، وواضح سبب زيارته يعتذر على غياب بمجرد نطقه للاسم واللقب يديا بدأت بالرعاش، طفله لأنهم كانوا في رحلةٍ عائلية سألني ما اسمك، أجبته بمجرد لفظي للاسم تفاجئ الرجل لوضعي وحالتي، طلب من المدير أن يعفي عني مهما كانت خطيتي من أجله، وانصرف الرجل ثم أنا

بداخلي شعورين، الأول أود أن أتهجم عليه وأشرب من دمه، والثاني أن أحتضنه وأبكي بين كتفيه، عدتُ من المدرسة وأخبرتُ أمي عما حصل فرحت بوقفته بجانبي ولو للحظة بالعمر، كُنت غاضبًا جداً، أدركت أن أبي لديه أطفال غيرنا وهم في أقصى حالات الراحة..

أما عني أنا وإخوتي نعاني أقصى حالات الذل، يا إلهي من الدنيا غير العادلة من حينها والكره يكبر تجاه أبي، وفكرة الانتقام ترسم بعقلي، أمي تشتغل بتنظيف المنازل حتى توفر لنا طعام ما يسد جوعنا ونتستر بالملابس من الصداقات، منها المرقع والممزق لكنها كانت تغطى جسدنا، علمتنا أمي أن نقول الحمد لله وأن نحمد الله يزيدنا، وكل ذلك التعب سوف نؤجر عليه يوم الآخرة، وأن الله وعد الصابرين بالجنة، كل ما علينا أن نصبر وحسب، ودوماً أتذكر أبي بالخير حتى لا نحقد عليه.

ظللت أعمل أجير لأصحاب المحلات من يريد مساعدة بنقل البضائع وغيرها.

برغم اعتراض أمي كونها تريد مني أن أدرس وحسب، مرت علينا أيام بائسة محملة بالهموم، كل ذلك التعب والإرهاق كان لدي جزءًا ضئيل يقاوم في هذه الحياة ويمنحني الأمل، لكن منذُ حادث أخي أختفى ذلك الجزء، في ليلة ممطرة مصاحبة معها موجة من البرد الشديد.

في الرابعة من أبريل في سنة 1996.

طردنا زوج أمي وغير العادة طردا معي باسم وكانت أول تجربة له والأخيرة أنا في سن الخامسة عشر وباسم الثالثة عشر، جسمه لم يحتمل البرد، بكى كثيراً تلك الليلة، أمطار تهطل علينا، جالسون على الرصيف دون أي شيءٍ يحمينا، ولا ملابس تدفينا، بمجرد طلوع الضوء استطحبته إلى المستشفى؛ وضعه خطير للغاية لم يبقَ ثلاثة أيام في العناية الفائقة ورحل إلى الله.

أنكسر ضلعي، ولليوم هذا أُحاسب نفسي، اعتبر وفاة أخي خطيتي وبسببِي أنا لم أعرف كيف أحميه، لم أعرف كيف أحافظ عليه، ضلعي وسندي انكسر، الأمر صعب صعب مهما أتحدث لن تشعر بالأمر..

وعدته أن أحقق لهُ جميع أحلامه وأتعب من أجله لكي أوفر له مصروف دراسة الطب واجتهد لتحقيق ما يطلبه.

انهمر بالبكاء

الطبيب: وسيم صديقي، إن الذنب ليس ذنبك أنتَ.

_لا أحد يستطيع إقناعي، حتى إلين حاولت الكثير معي ولم تفلح

الطبيب: واصل الحديث

_ لم أعد أستطيع، أريد أن أصرخ بصوتٍ عالٍ وحسب

الطبيب: اصرخ، أخرج ذلك الغليل الذي بداخلك

_ بضحكة سخرية

آسف مرة أخرى، الآن حان وقت خروج أختي من المدرسة ووعدتها أن أصطحبها أنا.

الطبيب: مثل ما تشاء، لكن انتظر قليلاً لأكتب لك بعض الأدوية.

_عفواً لا تكتب، إني لا أجيد تعاطي الأدوية، دعنا نتعالج بطريقةٍ آخرى.

الطبيب: أنت تعلم أكثر مني بحالتك.

_وداعاً.

في الجلسة الثالثة

_هل تعلم ما شعور شاب بسن الثامنة عشر قضى شبابه في المحاكم والسجون؟

الطبيب: ما السبب!

_بضحكةٍ عالية

أسباب عدة

الطبيب: حدثني بتفاصيلٍ أدق.

_استأجرت اثنين من الشباب، وأنا الثالث، وحرقنا منزل أبي والعائلة جميعها موجودة بالداخل، في البداية لم يعلموا من الفاعل، خطفت أخي الأكبر وبقيته أسبوع تحت التعذيب حتى أشفي غليلي، وكل هذا لم أفكر بمسامحتهم.

لكن بعد مدة قصيرة عرضتهم لحادث سير شنيع وأنا من خطط لكل هذا، وفي العملية هذه أنا من فعلتها وحدي.

قبضت عليّ الشرطة واعترفت بكل شيءٍ وسجنت لمدة عامين، رغم ذلك إلين لم تتركني وهي من أخرجتني من السجن.

هي من عائلة لديهم صلة قوية في دولة

الطبيب: من إلين؟ في كل جلسة تحدث عنها ولم تخبرني من هي!

_سوف أخبرك لكن أنت لم تركز في قمة بشاعتي، ركزت إلا في إلين.

الطبيب: أنت ليس بشع وكل ما فعلته هو الانتقام كما قلت.

_صحيح، ولا زلت أريد الانتقام أكثر

الطبيب: اكمل

_إلين في غيابي أخذت اختي في بيتهم واهتمت بها ولم تتركها في الشارع، وعند خروجي من السجن علمت أن أمي توفت بسبب صراعها لمرض السرطان في الدم(عافنا الله وإياكم) ولم تلقَ للعلاج وبمجرد كشفهم للمرض كان في مراحلها الأخيرة، وفاة أخي لا زالت في عقلي كأنها أمس، وصدمتي بخبر وفاة أمي فلم يعد برقبتي ذنب واحد أصبح ذنبين، دخلت إلى عالمٍ آخر، تعاطيت المخدرات رفقة أصدقاء سوءٍ، ذهبوا بي إلى الهواية، كانت إلين بجانبي دوماً تحاول نصحي وتصلحني لكنها لم تنجح.

تهجمت على أخ أمي في منزله ومن سوء حظي كانت العائلة جميعها مجتمعة في منزله، الجميع ظل يضربني بقسوةٍ حتى تعرضت للكسور في جسدي، ضربوني ضرباً مبرح حتى أغمى علي، تركوني في الشارع ولا أحد بقلبه ذرة رحمة فزع وساعدني.

الطبيب: لِمَ تهجمت عليه أنت؟

_بعد وفاة أمي ذهبت أختي إلى هذا الرجل حتى تطلب منه أن تبقى معهم وقتاً من الزمن ما بين خروجي من السجن، طردها وكسر بقلبها أكثر ما هي قلبها مكسور.

الطبيب: ما هذه الوحشية؟

_نظرت! هم من صنعوا مني شخص سيء، أنا لست كذلك والله.

الطبيب: ماذا حصل بزوج أمك؟

_سمعت الفترة الماضية بأنه توفيَ جيفةٍ وهو مخمور.

الطبيب: وماذا حصل معك بعدها؟

لم أترك عملاً إلا وعملت به، ستأجرت منزل صغير كيف ما يحملنا أنا ووسن، وقفتها عن الدراسة لأني كنتُ خائفاً أن أفقدها أيضًا؛ فهي الوحيدة من تبقت لي في العائلة أريد أن أحميها من كل شيء.. وثاني شخص أثق به بعدها إلين هي وجارتنا التي استطاعت أن آمن عليها أختي في غيابي، وبالصدفة أخبرتني أنها قربية أمي، وصلة القرابة بينهم أنها ابنة خالتها، لكن الزمن فرقهم ولم ترها من سنينٍ عدة، وهي ستحافظ على أختي كأنها ابنتها، فهي لم يرزقها الله بأطفالٍ، شعرتُ تجاهها بالراحة، ووسن كذلك بقيت ذاهب في سراب التدخين المخدرات_ سماع الأغاني_ الوحدة، جميعها لم تنفع لعلاج جرحي، أرى أمي في كل مكانٍ، خيال أخي وهو يقول لن أسامحك، وأمي وهي تقول لي لماذا فعلت ذلك وتركتني في آخر أيامي؟ كثرت المشاكل بيني وبين إلين أعلم هي ليس لها ذنب أنا السبب بكل شيء، لم أجيد التصرف معها، جرحتها كثيرا ولم أقدر ربع مسندتها لي، الجميع يعتقد أني شخصًا فاشل، إلا هي تراني موهوب ومميز بسببها أكملت دراستي ووقفت القيد بمجرد رحيلها.

أتعتقد أنها ستسامحني؟ الدكتور: أعتقد أجل وأعتقد لا؛ لأن القلب إذا حب يظل يغفر يغفر إلى أن يقسى ويمحي كلمة تسامح من قاموسه.

الطبيب: سمعتك كثيراً وأتى الوقت الذي يجب أن تسمعني انت

_تفضل

الطبيب: بحسب ما سمعت لحد الآن أنت تعتقد ما حصل في حياتكم هو ذنبك وخطئك، يا صديقي أنت لا ذنب لك بشيء، وأنت إنسان ليس سيء، ترك أبيك لأمك خلفه سر ولا يعلمه إلا الله وحده، وفاة أخيك حادث وهو ليس برقبتك ووفاة أمك جميعها أقدار وامتحانات من عند الله كذلك مكتوب من عند الله.

أفعالك التي فعلتها هي صحيح خاطئة ولكن تستطيع إصلاحها، ولكن ليس أنت من تحاسب المذنب؛ إنما الله وحده يحاسب عباده، والسجن يصنع الرجل

وإلين سوف ترجع إليك ومتأكد من ذلك.

_كل ما أريده الآن إلين فقط، والله إني تغيرتُ كثيراً.

الطبيب: قلت اسمعني فحسب

_عذرًا، لكن بمجرد سماع اسمها أفقد عقلي.

الطبيب: لا عليك.

_إذا إلين سوف ترجع، وما علاج تخيلاتي وصراعاتي مع ذكرياتي سيئة؟

الطبيب: تدريجيًا سنعالج كل أوجاعك.

_يا ربّ.

الطبيب: وما اخبار عائلة أبيك الآن؟

_بعد حادث السير الذي كان بسببي تعرضتْ زوجة أبي لشللٍ نصفي وأعتقدت أنها في آخر أيامها، وأخبرت السر الذي كانت تخفيه فهي من كان السبب في طلاق أمي، وهي من خططت لكل شيء حتى زوجها من أسوأ الرجال في المنطقة، خططت لتشويه سمعتها وأتفقت مع من مثيلها حتى يشهدوا، أبي بمجرد معرفته بالحقيقة تعرض لجلطةٍ على القلب، والعائلة لم يصلح حالها لليوم، فلم أعد أهتم بأخبارهم كثيراً، يكفيني أن الحقيقة تبينت، لكن للأسف بعد خسارة امي.

الطبيب: وهل لا زلت تتعاطى في المخدرات؟

أمتنعت عنها فترة ورجعت لها.

الطبيب: أخبرني أكثر عن إلين

مثلًا سكنها، سنها، لقبها وهكذا

_ماذا تفعل بها؟

الطبيب: هذه وظيفتي وإن كنت تُريد أن نكمل أخبرني.

_أنني لا أتذكر شيء عن معلوماتها هذه، لكن عند رجوعي إلى المنزل سأطلب من أختي الاتصال بك وتخبرك بالتأكيد، لا زالت تتذكر معلوماتها تلك.

الطبيب: اتفقنا.

_ارهقت كثيراً اليوم سأعود إلى المنزل ونلتقي في يومٍ آخر.

الطبيب: في الجلسة الأخرى اتصل بي قبلها، واحجز موعد، وأنا سوف أرسل إليك العنوان، لأنه لن يكون بهذه الغرفة المعتادة.

_الذي تراه مُناسب أنا متفق عليه.

الجلسة الرابعة..

في إحدى الحدائق العامة مقابل البحر..

_أريد أن أشكرك على مساعدتك، وشكرًا لكونك كُنت صديقًا جيد معي.

الدكتور: أخبرني ما تريد عن إلين؟

وسيم: إلين فتاة غنية عن التعريف لا أستطيع وصفها، شعرت معها بالحُب

فتاة ظلمتها معي، ساندنتي ولم تتركني للحظةٍ أنا دمرتها، كسرتها، جرحتها، خسرتها، أعطتني كل الحُب والحنان، فلم تجد مني إلا قلة الاهتمام والسلوك غير الحسن، رغم ما فعلته معها لم تتركني، كل ما أتذكره آخر ليلة قضيناها قلتُ لها الكثير من الكلام الجارح، وطردتها وطلبت منها أن تتركني ولا تتحدث معي مرة أخرى.

الطبيب: كيف تعرفت إليها؟

وسيم: تعرفت إليها قبل دخولي إلى السجن بسنةٍ وتسعة أيام بالضبط، بداية معرفتنا وضعت عندي جهازها الحاسوب حتى أكشف ما علته، فإني معروف بأن لدي القدرة على تفكيك الجهاز وإرجاعه لوضعه، ودخلتُ على هذه الصنعة منذ السادسة عشر، أعطت قلبها للشخص الخاطئ.

الطبيب: لا زلت تحبها؟

_كيف لي بنسيانها وأني اليوم أعيش برفقة خيالها لدي أمل كل يومٍ أن ألتقي بيها في أي مكانٍ، لعلَّ الصدفة تجمعني بها يومًا من الأيام، أشتاق لها كثيراً رغم غيابها، إلا أن صورها تساندني عن انهياري.

الطبيب: اعطني وعد أن تستمر معي وتزورني كل فترةٍ وفترة.

_أعدك.

الطبيب: بحكم استمراري معك في العلاج اليوم أتيت لك بشخصٍ غالٍ لديك جداً، وأتمنى أن تصلح باقي حياتك.

انصدم برؤية إلين تلوح إليه من بعيد، حضنها بقوة وهو يعتذر منها.

أكمل وسيم دراسته والحمد لله تخلص من كل الأوجاع والكوابيس والتخيلات خطوة خطوة وأصبح إنسان طبيعي..

أكمل باقي حياته بالزواج الصالح ، ولديه ابن يحمل وسامة أبيه وشهامته، ويشتغل بإحدى الشركات التي تتبع عائلة إلين.

وما بعد الضيق إلا الفرج والتقرب إلى الله هو الحل الأول والأخير.

قصة بعنوان: أرقة سنين، التعب الأزلي.

بقلم الكاتبة: أنوار علي سعيد.

في مأزقٍ مألوفٍ تحت أنوار النوافذ، كنت شابًا مزهرًا مكللًا بالأمل، وكما سيأتي اليوم ستكون نهايته عدة إنجازاتٍ، لربما كانت إتقان روحي تستمد قوتها من نفسها، لامع السند الله سبحانه وتعالى.. ولا الآخرين، كنت شابًا ذو كبرياءٍ مغري، وشامة ذو وسامةٍ جذابة، كنت وسأكون..

السابع عشر من أغسطس ١٧,٨,٢٠١٨..

أمي وهي تفتح النوافذ وأشعة الشمس تلتهمني وتحترق عيناي، أغمض عين، تتحسس عيني الأخرى، أغمضت جسدي باللحاف وأنا أُفف، كدت أصرخ، لكن وللحظةٍ هديت..

"إليكس قد حلت الظهيرة وأنت لست نائمًا، إلى الله الصبّر"

هكذا دائمًا كانت أمُي، تُلقب نفسي ألقاب غير عادّتي، من غير دوامٍ ولا دراسةٍ، تزعج إخوتي كل صباحٍ، ولسوء حظي قد حظيت بنومي معهم هذه الليلة؛ لأن غرفتي بالأمس قد ساقها العامّل، وعلى قيّد التجهيز.

إليكس، آيلي، بروانز..

أنا وأخي بروانز قد سابق سنّي بعاميّن، لربما كان لي إخوة وأخوات من أبي لكننّي لا احُب أن أتحدث إليهم، قد كانت البغضاء في نفوسهم كادّت أن تدمرني، بالطبع أنا لا أحب أحداً غير قابل شخصيتي كمّا هي، وهذا لا يهم!

كنت ذو الوسط بينهم، كُنت الوحيد بينهم قليل الجدّال، كاره للحديث دون معنى، أحُب أحاديث المشاريع وصيّاد الأسماك والبحار، أعشق التسويق الإلكتروني باستخدام الشبكة العنكبوتية، والبحث عن معلومات الكابتن الطيّار الذي يسرد حكاياهُ لعائلته بعد عودته من عمله وكل مرة، أسرد وأبتسم كم أنا أنتظر لحظات الحسم وكيف يسموني الأشخاص وكيف أنتّهز الفرصة لكي أذهب وأرتقي..

أمي كانت هزيلة على ثقة بي!

_إليكس أتظن نفسك ستصبح عادّة روحك غدًا لكي تصدع رأسي على أحاديثك هكذا، اكتفيت بالصمّت وبكيت داخلاً وقلت سأفعل..

سأفعل أُماه وبشدةٍ، ضغطت على كأس الكافيين الذي كان بيدي حتى أنكسر وجُرحت، انصرفت وأنا أصرخ، أتنهد عذابًا، بحرت في أعماق تفكيري، لاحقتني آيلي أكتفيت باستنادها وقلت لها -تعبت- تعبت من مناقشات التحطيم والركوة من فراغ، مللت من الحياة البائسة، الذي تُدمر كيفية إرتفاعك، حقًا ألقيت من حياتي دروس لا تُسمى هكذا فحسب!

آيلي أكتفي على ثقة بي، تالله ما عدت أحمل جسدي على نفسي، أنا حقاً فاشل! صرخت ومسكتُ رأسي بقوةٍ.. آيلي

تبكي! بالطبع لا إيلكس..

فأنت تحارب لنفسك وبنفسك، أنت صابر للحد الذي لا يقال، جداً أنا فخورةٌ بِك، لا تتوقع أنني سأفلت يدك يومًا ما، لا تتوقع هذا!

من كان من أُفلت وسيفُلت سيندم يومًا ما، الكل لا يعرف من أنت، وأنا شقيقتك وجناحك وجليد فؤادك المنكُسر، مع الوقت ستنكشف النوايا، كُن على ثقة لا داعٍ لهذا اهدئ..

تاللهِ لا يليق بك إلا الجبر، لا تيأس بما أنت عليه الآن!

الحياة لا تقبل الضعفاء، احفظ هذه العبارة جيدًا، قاومت وعلى رغبة آيلي على كيفية أن أُصلي بعواقبٍ جدًا قاسية، قرأت أنا وآيلي بقراءة بعض آيات القرآن من سُورة البقرة، عندما أعتزل حرف وأبدأ ألقب نفسي فاشلاً على نحُوٍ ما؛ كانت تمسك يدي بِقوةٍ، وتُلفظ عبارة "أنتَ قوي"

تحديت آيلي الليلة سأبقى فاتحًا قلبي لسورة البقرة، وأتممّتها على خيرٍ، وأنا على وعظٍ..

اكتفيت بحضن آيلي حتى ملأت نفسي آمان، فما كانت أُختي؛ اليوم ودائمًا كانت سندًا لروحي المهُمشة على الآخرين فخرًا واعتياديًا..

السابع عشر من سبتمبر ١٧,٩,٢٠١٨

مررنا أنا وآيلي على شارعٍ محتواه مكتبة لتعزيز المرضى النفسيين، وتفهوت بعبارة "أمي تريدني أن أركن نفسي في جوف هذه الغرفة للأبد" سقطت مني دمعة،

لاحقتها آيلي وغمرتها بيديها وكالعادة كان حنانها دافئاً جدًا، تحدثنا عن كيفية تجهيز مشروعها وإتمّامها بعد سنتين على آخر عقبة، ولله الحمّد على فؤادٍ سندٍ للروح مثلها، بقينا صامتين لدقائقٍ، حدّقت بي وهي عيناها ملئتان بالدموع، أحسست بشيءٍ كاتمة إياه ولديها سرًا!

"لكن لا زال فؤادي يقول، افعل وقل لها "ما بكِ

أغمضت عيناي وبقوةٍ ووتيرة غير معتادةٍ!

_آيلي لماذا أنتِ تبكين الآن؟

_بربكِ ما بكِ؟

_بربكِ هل هذا كله بسببي؟

_تحدثي، قولي شيئًا، جادليني وأبكي في كتفي، أنا هُنا.

آيلي:

إليكس أتدري ما الحدّث البائس في هذه الحياة؟ أتدري وأنت تتألم وتتظاهر أنّك في " قمّة سعادتك؟ أتدري كيف يشفق الإنسان لنفسه وبنفسه، ويقول هذا أنا وهيّ هذه توقعاتي؟

في لحظةٍ ما! في موقفٍ ما، بطريقةٍ أخرى كانت دراستي الجامعية للعلوم الشامّلة افتتاحًا لكي أتسير في مسيّرة كلية الهندسة والتكنولوجية... لكن!

كان عارضًا لطموحي "درايف" بالأمس تحدثت معي وخير مسيرتي به وبمّا سيحدث في السنين القادمة، في الليالي الماضية كان يجرح مشاعري بكلامه، كانت كالخنجر المُسنن تحت أوتار فؤادي.

_"آيلي، مثلما حظيتي مستقبلك اكملي بقية حياتك وأنتِ بعيدةٌ عنّي، لطالما كنت شخصًا مُدمن مخدرات، وها أنا اليوم هُنا، بالغد سأركن في جوف مستشفى مرضى النفسيين، أنتِ تستحقين قائدًا قويًا شجاعًا رجلاً يحبك كما أنتِ، وألف ويا أسفاه على متبلدٍ مثلي، إلى اللقاء عزيزتي الوحيدة، أحُبك، كوني بخير، أتمنى لكِ حياة مليئة بالإنجازات"

_أنا أحبه كثيرًا، ليتني مت بعد هذا الفراق البشع، إليكس أنا متعبة جدًا بعد فقدان درايف، كما ولو أنه سيء لكنّي تعلقت به أشد التعلق..

على اعتياد مرور أسبوعين..

مّرت ليالٍ وعلى عجاف، تّمت وتيرة تُسحب، تميت دقائق وأنا أنهّمر ضحكًا برفقة آيلي، ولا أعرف مسيرة الأيام المقبلة القاسية بِجراحها المطروحة، ولكن أنا لست مشؤوم، لله الحمّد، أنا دافع وكما كاتب الله لي سأرى، هونٌ يارب!

هونٌ على نفسٍ متقلبة تحت تصنيف شعار مجنونًا، يارب !

لا أنا ليس مجنونًا، الذنب ليس بي، برِبك يا عقل ارحمني ولو قليلاً، كُنت أذرف دموعًا تحت وسادتي بصمتٍ، لاحقتني آيلي في التفكير وهي تقول لي: "إليكس افتح يدك، اوعدني أنّك أن زارتك حالاتك المستعصية يومًا من الأيام وأنا ليس هُنا بجانبك تسمع لسورة البقرة وتقول استغفر الله، وأنا ألفظ العبارة بصوتٍ بطيء صرخت آيلي!

آيلي أين أنتِ!

لطالما كانت المدائن تجُمع شتات الآخرين، ما كان يميزني عن ذوي الاحتياجات الخاصة حاستي القوية بموقفٍ حدث، وكانت هذه المرة الضحية آيلي وعلى غير عادتها!

تعرضت لحادث سيرٍ أثناء تواجدها في مكتب قسم بحوثاث درايف وكيفية خطوات علاجه، عندما علمت بِها فُور تواجدي في نفس المُستشفى، التقيت بكل الأشخاص الذي كانوا يشمُتون على حالتي، من بينهم أبي وأمي وزوجة أبي السابقة، درايف وهو يبكي، بروانز، صديقتها تالي، وأُناس لا أعرفهم، حظيت أنا أكتفي بضغطٍ على رأسي وقلت لهم، أين آيلي؟

صرخت حتى خرج الدماء من يدي الجريحة، تائه في مجرى الأحزان، جاري على وتيرة سرير وتخدير، إدراة قسم الطورائ، هواتف ومُجرياتٍ، كوابيس وآيلي في الأحلام!

تُهت في بحار مياه عذبة، ترعرعت في حياةٍ ظالمّة، فقدت أغلى ناسي، وزاد تعلقي قد أصاب هلعي بالوهن، مضى ثلاثة شهُور وآيلي قد فارقت الحياة، أصبحت هامّس في منتديات الهوى، أصبحت إيصاف وتّدني، عشرة أيام أتّلقى العلاج، وبضعة أسابيع أغُرق في واحدٍ من الأقسام وحالتي كانت تتواصل على عواقب الضرر، قلت نحافتي أكثر، كرهت كل الأشخاص، حتى درايف الذي أصبح يرى الحياة من دون آيلي غير عادلة، كُنت كل ليلةٍ أتمنى ما كان حدث لآيلي كان هو من سيمر بمرارة حرقتي للآن!

خرجت من غُرفتي وتوجهت لقسم الذي تواصلت آيلي أحادث عاقبتها، وقفت على أقدام حافية، على وجع مُتيم، على فُؤاد غُدر، على خيانة، حتى نقطة الاتجاهات قد أعلنتّ تصدعي..

قررت أنّ أكمل بقية حياتي في تعزيز المرضى، أرُكن روحي وأنا حافي الأقدام، ولعلّي أُشفى بعد خيبة أملٍ كبيرة، عرضت حديثي مع أمي وبروانز وأنا أذرف دموعًا خفّية، أمي كادت أن تحُلق سعادةً..

أحسست وكأن الأرض لا تسعني، اكتفيت نحو الشاطئ وأنا أصرخ مُمسكًا رأسي بِقوة، رافقتني آيلي وهي تبتسم، أحسسّت يداها، عباراتها، دفئها، رائحتها، ومن تلك المّرة..

توجهت بحكمةٍ بليغة وبإيمانٍ كبير بعد عقبات لا تحصى، قد اكمّلت سورة البقرة في تعدد أربعة أيام، وودعت ما تبقَ مني، واستسلمت..

بعد مرور أسبوعين..

والحقيقة قد باتت تنكشف، تخدير وأحداث وصراخ وجراح، شوق وانفصام، فقد وعي وقلب مُتعب..

إليكس مراحلك قد تضاعفت، قد تعبت لدرجة حتى دواءك لم يسيطر عليك، _ عمرك في نقصان، نحافتك وأسوداد عيناك، رجفة يداك، وحديثك المليئ بكمية غضبٍ حادّة، إن واصلت على هذا الحال؛ فلا تركن وتدفن نفسك إلا بنفسك وبإرادتك، اعتنِ بنفسك واستعد للأيام القادمة لتكمّلة العلاج..

حادثني الدكتور، حادثني ودمّر ما استوعظ مني، صُبًا جُمًا تألمت، صاحبتني آيلين في المنام هذه الليلة، وهي تقول:

أعلم بأن خيانتي لك قد حادت إليك الوجع بأضعاف ما كان بِك، لكنك ولأنك " إليكس، سامحني!

أتألم وأنا على بُعد وما صاحبته إياك، قد علمت بكيفية تفشي مرضك، وأعلم من مرور الوقت قد كنت أنانيةً للحدّ الذي لا يقال، فقدت أممي وها اليوم أنت..

تضاعف وجعي أكثر، قد أصبتُ بحمّة مُرتفعة جدًا، وأصبت بمرض الكانسر ما يدعى بالسرطان، دعاؤك قد استجاب اليوم أهنيئك..

تذكر متى تلك الليلة الذي تصرخ فيها وتقول لي: إن سامحتك فأنا غبي، في كل مرةٍ سأتذكرك سأكرهك أكثر، أتمنى أن تشفعي نفسكِ مني، انزعيني وارحلي!

أعلم بأنّي جرحتك وأنت الذي كنت تحبني حتى في قصائدك كنت تشُع عشقًا لي، فعلت ما بك الكثير، تعاميت على وجودك، وكنت أنظر لك بأنك العدّم ولا تعني لي شيئًا..

كنت ضامنةَ إياك وواثقة من أنك تحبني وأنا في راغفة كل حالاتي، في بؤسي وحزني قبل سعادتي، حتمًا أسرد حروفي وأنا أذرف دموع الندم، واليوم علمت أن كل ساقٍ سيسقى بما سقى، وكما تدين تدان..

في الحقيقة سقطت من عيناك بطريقةٍ بشعة جدًا، أعلم هذا!

ولكن.. ما كان بيدي ولا كانت مسيرة مدائن روحي هكذا، كنت شخصًا سيئًا، أرحل عنك متى ما أشاء، وأذهب إليك متى ما أحتجت، أركن وأدعى أنك المسبب حدقة إزعاج متبلدة بقصصك وكنت أقول لك بعالقة روحٍ، سردّت لك واشتقت ما كان بك، تعمّدتف أن أُرسل لكِ هذه الرسالة، بعد الغد سأسافر ولا أمل لقاءٍ للحياة من جديد، قصائدك في منتديات قوافي وبوحي لك كان مرتكن في جوفي، أنت شخصٌ لا يستطيع أن ينسى، حقيقتك قد ألمتك، باليوم أنتَ المُنتصر.

هلعت من سريري كالمجنون وأنا أتهفوه باسم " آيلين " وما حدث!

كنت أتمنى أنه كان حلم على قابع الطريق، حدسي لا يخون، لا يخون!

فتحت هاتفي وأيقنت أن هناك شيئًا قد دفع للمراسلة، من رقمٍ مجهول الهوية، إلى نفس الحديث، إلى آيلين، إلى الحزن، إلى دائرة الخذلان، إلى القساة، وإلى الحياة المشؤومة..

ما قلت غير الحمد لله، وأقفلت هاتفي ومضيت قدمًا ولا أسير إلا للأمام، في ظهري رائحة إيلي، وفي قلبي دعائي، وفي روحي يقين بأنني سأتعافى، وبقدرة الله عز وجل..

في الحقيقة..

كُنت أحب آيلين أكثر من نفسي، كُنت أعتني بها كمن يعتني الآب بابنته، عوضّتها مكان فقيدها، وكنت معها بمثابة سندٍ، لا أعلم لماذا اخترت أن اكتشف حقيقتها الغامضة، وبسبب غيرتي المفرطة، اكتشفت خيانتها وغدرها بكامل وعيي، لماذا اليوم، لماذا أنا، لماذا بالتحديد لحظة عندما قالت لي:

أعتنّي بنفسك إليكس، اليوم سأكون مع صديقاتي، لنحضر حفلاً رائعًا..

حدّقت بي من شاشة الهاتف وهي تقول:

"أحبك، أنا سعيدةٌ، أحبك أحبك"

أقفلت الهاتف ومضيت قدمًا؛ لكي أعثر لأصدق شعور أحبك المزيفة الذي تصدر منك، آيلين ما كان قلبي ينبض إليك كالسابق، ولا كانت اللهفة المتصدرة شاهدة على ذلك، حبي لك قد فاق التوقعات، وتخذرت منك!

تفارقنا لحديثك البشع، لغدرك المسموم، لصراخي وأنتِ في أول رحيلٍ منك،
سئمت من كل شيءٍ، أريد انتزاعك مني لكن كيف؟
كيف للإنسان أن ينزع روحه منه لكي يعيش!
بربك حادثيني وكوني على ثقةٍ أنك ستشافي آلامي!

"في قاعة المرضى، كنت أحادث الطبيب وكأنه "آيلين
لأنها بسببها هي؛ لا أحد غيرها..
من كان سببًا وأسبابًا في بزوغ حالتي لهذه المرحلة..

بعد مرور سنتين..

دخلت في سن التاسع عشر، من شهر يونيو..
شموعٌ وحفلات، موسيقى، هدايا..
في الحقيقة!
تناسيت وجود آيلين، تهامشت وجودها، نسيت نفسي وبقوة قد كانت ضلعًا من نفسي.
كانت الحاكم على اضطراباتي، وحالاتي النفسية بسببها، وكل شيءٍ..
حتى اقتحمت رصيف طريقنا بمخاطبتها وهي تقول لأحدٍ غيري "أحبك"
وحدها من كانت شهيدة على ذلك، والقلب قلبي والضحية من كان [أنا]

حتى هُلكت..

ولله الحمد!

الطبيب: إليكس غرقت في تفاصيلك أكثر، تعايشت مع كل جرحٍ أذرف منك وأحسسته كالخنجر في مسكن جسدك، ولكن تذكر بقوة إيمانك وصبرك وبكاؤك في صمتٍ وحالتك!

وتذكر وقتها كلمة " إن الله إذا أحب عبدًا أبتلاه"

إليكس: ما كان بي الآن أصبح ماضٍ، أعلم ذلك، ولكن كيف لي أن أنسى، وأتجاوز!

الطبيب: في مرحلة البداية قد تُميت وانتهت، سأجري معك في الباقي، والآن!

أهنئيك الأمر قد أصبح سهلاً جدًا، فالمرحلة الصعبة قد اجتازت، لا داعٍ بالقلق أنا هُنا!

إليكس: شكرًا لك للمرة هذه، وليس الأخيرة!

حقاً تعايشت وها أنا اليوم هُنا..

لله الحمد دائمًا، لله الفضل، لله الكرم، لله الهداية

الطبيب: ما أريده منه الآن هو أن تُصلي، فالأذان قد صُدر قبل قليل،

تفهوت بابتسامةٍ ورحلت..

مراحل العلاج الطبيعي، قاعات، أقلام حرة، كُتب وكل ما أتمناه عثرت عليه في هذه الغرفة!

إليكس: ما هذا؟ هل أنا أحلم!

الطبيب: بالطبع لا، حُلمك قد تحقق، وما زلنا في جلسةٍ واحدة، ونكمل العلاج على بركة الله، لله الكرم..

إليكس: اكتفيت بتنهيدة، جلست وأنا أكتب، أغني، عزفت على البيانو وهنا كانت الكارثة!

عزفت وفي لحظاتٍ تذكرت آيلين في الماضي كانت تقول لي:

إليكس أعشق البيانو كثيرًا، تذكرت عندها هديتك إياه وأنتِ قد أسعدتِ سعادة " العالمين، في لحظة!

تركته وما كان يؤذيني كنت أتصرف معه بالمغادرة لا فقط، المغادرة مريحة جدًا وبلغة متضادة، موجوعة جدًا!

الطبيب: هل لي أن أدخل؟

إليكس: بابتسامةٍ، بالطبع!

الطبيب: فكرت في الماضي قليلاً صحيح، ولكن مصر على أنك لا تستعيد ذكراه بإرادتك من جديدٍ؟

إليكس: نعم، والحقيقة الموجوعة قد صدرت..

الطبيب: أهنيئك، فأنت في أعظم قمة القوة، مهما كلف الأمر، سيتصلح كل شيءٍ، سيتجبر كسرك بفضل الله أولاً..

إليكس: حقاً لا أستطيع كيف أشكرك، في كل الحالات ممتن..

_من إليكس:

ممُتن لكل جرحٍ تسبب في ايذائي، ممتن لحالة الهستيريا الذي عانقت جوفي سِنون، وها أنا اليوم أحُرر نفسي من أعباقها، لدروب نبتة آيلين العالقة بي، ابنتي الصغيرة

وكما كنت أُسميها في الماضي، بالرغم من كثب مشاعري كتبت كلمة -الماضي- وأنا أرتجف!

أرتجف شوقًا، حرقة وما كان بي ليس ما كان ماضيًا؛ بل كانت حاضري ومُكملي ومُستقبلي..

أعلم بأن البعد قرار...فقرارها كان حديث الغالب... أنا الذي أوجعتها ولعبت دور الضحية في كل شيءٍ..

في ذلك الوقت.. ما سقطت من عيني فقط، تمنيت أن أموت وأفارق الحياة، ذقت المرارة حتى تعذبت موتًا في الحقيقة..

ما كنت ميتًا قبل علاجي؛ ولكن كنت ليس ميتًا دافنة روحي بعيدة عني، وكما كانت نفسي كانت هيّ، ممتن!

آيلي رحمّك الله يا سندي الثابت، يا مصدر قوتي وشروق نُوري المبرح من جديدٍ،

أُمي كلماتك وسخريتك أفادتني الكثير، ممتن لكِ جدًا، لا أقول أنني أكرهك البتة، ولكن منطفئ شعوري اتجاهك وهذه أعمق من الكره بكثيرٍ، أبي بالرغم من سطحيتك معي، ومساعدتك لي وقت حاجتي إليك!

كنت أنظر إلى كل هذا بعينٍ مدمعة وأقول فخورًا بك في ظهر الغيب..

بروانز المشاكس الصغير الذي أحُبه كثيرًا، اشتقت لعناقك ورائحتك المفعمة بحلوى الحديقة، تذكرتها الآن!

ابتسم وتلاحق ودائمًا حليّ أيامك بها، سترى الكثير، كُن حذرًا..

من قاعة الكُلية، إلى السنوات الأخيرة في الدراسة، إلى تحضير الماستر، ومقبل نفسي على زواج امرأة ما كانت تشبه آيلين، ولكن شبيهتها وكما قلت..

ابنتي آيلين!

لا تعبثي في كل الأماكن، العبي هُنا!

خُذي هذه، اعتني بها جيدًا، إسوارة حبيبتي التي غُدرت بي، ولكِ حتى تُكوني الأفضل..

قصة بعنوان: عذراء تقاوم الحياة.

بقلم الكاتب: أحمد النجار.

طفلةٌ لا تجاوز الثالثة عشر عامًا، وقَعَتْ فِي حُب أحد أقربَائِها، كَانت مُتَعلقَةَ جدًا بحبها لهُ، حتى أنها نَسَتْ المَشاكل وكِمية الكرهِ التي كَانَت بين عائلتها وعائلته، لطالمَا كانت لعبة بين الحُب والكره!

أوهمها قريبها بالحب والكلام المعسول والهدايا التي لا تفارق نظرها، سَنةٍ ونصف وهي تعيش بحب شخص كانت نواياهُ شيء آخر يعكسها، وهي الأخرى كانت مهوسة به حد اللهفة، كانت تتساءل كيف لشخصٍ أن يحبني بالأخلاص وبكل هذا اللطف؟ حقًا أعمى الحب بصيرتها، لتسقط في النهاية في أحضان الاعتداء والاغتصاب، سُرقت منها أنوثتها تحت مسمى "الحب" طفلة كانت تعيش المراهقة تعيش أيام التَهور والضياع، وقضتهَا على أعتاب شخص يكن لها عكس شعورها، يكن لها البغض والكره!

بعد مرور ست سنوات على تلك الحادثة، التي أطلقنا عليها اسم "لعبة الحب المشبعة بالكره"، كبرت الطفلة على خوفٍ من أن يكتشف أحد أفراد أسرتها سرها الدفين، كانت تلازمها فكرة الانتحار دائمًا، ولكن تقربها من خالقها كان أكبر من تلك الفكرة.

في يومٍ من الأيام قررت أن تحدث ذات الشخص على جريمته التي إرتكبها في حقها مع كمية البكاء الذي يلازمها منذ الصغر، لتتفاجىء بكلامه معها قائلاً: "لا تخافي سأصلح مع أفسدته بك، وستكونين حبيبتي وأم أبنائي مستقبلاً، متأسفًا يا حبيبتي، قد كنت في شتات ذاك اليوم لم أكن في وعيي"

مسك يدها حتى تطمئن له أكثر، ثم ردد قائلًا: "أن جميع المشاكل التي بين أهلنا لن توقف في طريق حُبنا" وأختتم كلامه بقبلة على خدها التي كانت كخنجر غدر لها.

أطمئنت الطفلة مع اندماج الكلمات والحديث المشبع بالخيبة مرة أخرى.

كان هذا آخر لقاء بينهم، الذي كانت تبلغ فيه الفتاة العشرون من عمرها، مع تقدم لها الكثير من الخطاب ولكنها كانت ترفض لصغر سنها والمسؤولية الصعبة.

تخرجت الطفلة من المدرسة الثانوية، ودخلت في كلية الطب، وأصبح مرة أخرى باب منزلها يطرق بالخطوبة والزواج، ولكن كانت ترفض متحججة بالدراسة، تحدث لنفس الشخص مرة أخرى وقالت له على كمية الضغوطات التي تمر به من أهلها لرفضها للزواج، وكان جوابه لها أن تتحلى بالصبر وأنه سيأتي ليتقدم لها.

مرت الأيام بكذبةٍ من ذات الشخص على الفتاة المتوهمة به، في يومٍ من الأيام ذهبت الفتاة إلى الكُلية ولكن عند العودة كان قلبها يقبضها وكانت تشعر بشيءٍ ما يكتم على أنفاسها حتى تصل إلى المنزل، يرن الهاتف وتجيب على الأتصال من أعز صديقاتها، لتخبرها أن تُجهز نفسها لحضور خطوبتها، فرحتْ بكل حبٍ لها مع الموافقة على الحضور، ولكن لا زالت لا تعلم ما الذي ينتظرها هناك، تزينت بأفضل ما لديها وترتبت، وصلت لقاعة الحفل وأعين الناس كلها تُناظرها، كانت ملكة الحضور فجأة تنصدم الفتاة بأن حبيب طفولتها هو خطيب أعز صديقتها، تمالكت نفسها وأصبحت تهمس بكلماتٍ متقاطعة كيف حدث ومتى ولماذا وقطرات الدموع تنزل من أعينها، كاد أن ينفجر عقلها من كثر التفكير، معادلة صعبة لم يتقبلها قلبها، أنسحبت دون أن ينتبه أحد بخطوة تلوى الأخرة إلى الوراء حتى وصلت إلى المنزل، كان الخوف يلازمها طوال الوقت من أن ينكشف سرها وتعرف كل عائلتها وفجأة تذكرت أنها كانت تبوح لصديقتها عن سرها... صرخت بكل قوتها كيف صديقتها التي تحمل سرها تتزوج من حبيب طفولتها، مر شهر على

إنفراد الفتاة وهي ملتزمة الصمت ولم تبوح بأي كلمةٍ مع أحد، أحتار أهلها في أمرها.

حتى وصل بيها الحال إلى الطبيب النفسي!

الجلسة الأولى!

الطبيب: السلام عليكم!

_لا سلام حتى يتحقق العدل.

الطبيب: كيف حالك يا ابنتي؟

_كالرماد على هيئة جثة.

الطبيب: أخبريني ما بك يا ابنتي؟ وما الذي وصل بك لهذا الحال؟

_بنبرةٍ حزينة وعيناها مليئة بالدموع:

وهمٌ من الماضي وخيبات أكملها المستقبل.

الطبيب: حدثيني عنكِ ما اسمك وكم تبلغين من العمر؟

_عذراء على أمل الخيبة، ستة جراحٍ وصدمتين، خمس خيبات وأربعة كسور، وثلاث سقطاتٍ في وهم الحب.

الطبيب: صِفي لي كُل ما تشعرين به؟

_حنت رأسها ولزمها الصمت مرة أخرى ولا ترد على أي سؤالٍ.

الطبيب: حسنًا سنلتقي في موعدٍ آخر، ولكن كوني بحالٍ أفضل من هذا، إلى اللقاء.

_أخذت الفتاة أشيائها وخرجت عائدة إلى منزلها والدموع تُذرف على خَديها!

نفس الحال يتكرر بها يوم تلوى الآخر، صراع الفتاة مع نفسها ومع مشاعرها حرصة وخوف في أن واحد تقطم أصابعها بشدة ومرة بها الحال حتى أتت الجلسة الثانية.

الطبيب: السلام عليكم.

_وعليكم السلام.

الطبيب: كيف حالكِ؟

_لا زلت أتعافى من خيبات الماضي والصداع المتكرر!

الطبيب: لمَ كل هذه الخيبة وأنتِ لا تزالين في عمر الزهور؟

_ضحكت بكل وجعٍ وقائلة: لم أرَ في يومٍ زهور! رأيت فقط الذبول والأزهار الميتة في حياتي!

الطبيب: جَميعنا نمضي بِظروفٍ قَاسيَة، ولكن لا نفقد الأمل بالحياة الله قادر على تغيير كل شيءٍ، لا تفقدي الأمل!

_فقدت أملي بكل شيءٍ، حتى الذي كنت على أمل به وظننته يحبني كسرني وتركني بخيبتي، أين الأمل بربك؟

الطبيب: يا ابنتي التعلق بالأشياء يفقدنا حياتنا، كل شيءٍ عابر في هذه الحياة، ولكن لمَ لا نتعلق بالله؟ الباقي الذي لا يتغير أبدًا!

_ولكن..

وقطرات الدموع تتساقط، ولزمت الصمت.

الطبيب: كل هذا مجرد اختبارٍ من الله، كل الذي مررتِ به سيعوضكِ الله بالأحسن منهُ، ثقي وتأكدي أننا خُلقنا فقط لكي نعبد الله ضعي في قلبك حبهُ حتى يترمم، لا زالت أمامك الحياة، ابتسمي لها وتفائلي بالخير حتى تعطيكِ ما أعطيتيها، تناسي كل ما مضَ لتبقي مجرد ذكرة تتعلمي منها وتتخطي بها مشاكل الحياة، أنتِ أقوى من كل هذا، انظري للحياة بنظرةٍ إيجابية، ودعي عنكِ كل السلب الذي سيؤذيك، واطلقي جناحيكِ ورفرفي بكل ودٍ ولا تبالي، مدام معنا الله سيكون كل شيءٍ جميل.

_عشرون عامًا وأنا أظن نفسي تناسيت كل ما مر بي، ولكني كلما أتذكر ما حدث معي أخطئ صعبًا عليك أن تتفاهم وأن تشعر بي...أخذت نفسها وركضت إلى الخارج وغادرت المَصح.

بَقيتُ أتسأل بِكل حِيرةٍ ما الذي يجعل فتاة في هذا العمر هكذا!

مرت جلستين ولكن الفتاة لم تأتِ إليّ، تذكرتُ أنها كَانتْ قد تركتْ رقم والدها في مَكتب الاستعلامات أخذت الرَقم واتصلت رد والدها: السلام عليكم.

الطبيب: وعليكم السلام كيف حالك؟

_الحمد لله على كل حال.

الطبيب: لِمَ لم تأتِ ابنتك لي؟

_لا نعلم ما الذي حدث لها، ولكنها لا تريد أن تفارق غرفتها، لم تعد مثل السابق، لا تجلس معنا ولا تتناول شيئًا، وكل ما نُحاول أن نقترب منها تصرخ بكامل قوتها!

الطبيب: نسأل الله السلام والشفاء لها، وعندما تكون في حال أحسن أنا في انتظارها، إلى اللقاء.

_حسنًا شكرًا لاهتمامك لنلتقي في ظروفٍ أفضل، إلى اللقاء

ومَن يَومِهَا لَمَ أسمع عنَها شيئًا لَحين اتصل والدها وأخبرني:

طرق باب المنزل ووصل ظرف به دعوة زفاف، فتحت الباب وأستلمت الظرف وأخذت أقرأ ما المكتوب، فكانت الدعوة تخص ابنتي، ذهبت وأعطيتها لوالدتها لتعطيها إياه، أخذت تقرأ والدموع تتساقط، ركضت أخرجت والدتها وأغلقت غرفتِها وأخذت تتناول كمية من الدواء حتى فقدت الوعي في حِين فَتحنَا الغُرفة وجدناها فارقت الحَياة.

وهكذا انتهى بها المطاف بالانتحار!

قصة بعنوان: شيزو فرينيا.

بقلم الكاتبة: إسراء البرغثي.

-في السَّادسةِ من عُمري بدأتُ أصحو على الكونِ من حولي رويدًا رويدًا،

فبدأتُ أُلاحظ أنّ هُنالِك أحداثًا جميلةً تحدُث خارج منزلِنا، مليئةً بالحُب وتنبض بالحياة، وأحداث غريبة تحدُث بداخِله!

لم أكُن أعي معنى أن يكُون للشخص شخصيات عديدة تتبدل طوال الأيام حسب حالتهِ النّفسيّة الّتي تبدأ من: السيئ إلى الأسوأ، وصاحِب هذهِ الشخصيات شخص يعيش معي منذُ وِلادتي، إنّهُ أبي!

الشخص الّذي أنجبني لهذهِ الحياة؛ لِذا أنا مُجبر على التّعايُش مع تصرُّفاته الغريبة الّتي تحدُث بين جُدران منزِلنا..

كُل يومٍ:

صُراخٌ مُتواصِلٍ، ضحِك هستِيري، تعنيف لِجميع أفراد الأُسرة -خصيصًى أمّي- الّتي كانت تُرافقه على مدار اليوم بينما أُفلِتُ أنا وإخوَتي الاثنين من رُؤية بعض الأحداث الّتي تحصُل نهارًا بسبب دِراستنا الّتي بدأنا نعتبِرُها طوقَ نجاة أكثر من كونِها طريقًا لِتحديد المُستقبل..

كانت أُمّي تقُوم بِمهَمَّة إيصال إخوَتي إلى المدرسة قبل أن أبدأ أنا بالدّراسة إلى جانِبِهم، حيثُ كنتُ الأصغرَ سنًا بينهُم.

لكنّها كانت تصطحِبُني معهُم في السيّارة رِفقةَ أبي أيضًا الّذي كانَ لابُدَّ لها من أخذهِ معنا وعدم إبقاءه وحيدًا في المنزِل كي لا تحصُل أيُّ كارِثةٍ!

أحيانًا كانَ يقُوم بتشتيت أمّي وهيَ تقود السيّارة، حتّى أنّهُ كاد في مرّةٍ من المرّات أن يُودي بحياتِنا إلى الهلاك بسبب إمساكه المِقود مع أمّي، لكنّنا نجونا -بفضل الله- ثمّ بفضل أمّي الّتي تداركت الأمر بِسُرعةٍ ولم تهلع بسبب ما فعله..

طفولة بائِسة قضيتُ مُعظمها - في المُستشفى النّفسي معَ أبي، مرضَى نفسيين وهيَ :يملَؤون المصحّة النفسية، أقسام عديدة حسب حالةِ المريض تبدأ من الغُرفةA الغُرفة الخاصّة بالمرضى الّذين يُعانون من مشاكل نفسيّة طفيفة، تتحسّن أحيانًا وتنتكِس في الأحيان الأُخرى،

وهيَ الغُرفة الخاصّة بالمرضى النّفسيين الأكثر خطورة من :وتنتهي إلى الغُرفةD بين جميع الحالات الّتي تمكُث في الغُرف السّابقة؛ فهُم يُعانون من مشاكلٍ نفسيّة وعقليّة مُلازمة لهُم دائِمًا، يُصعب التّعامُل معهُم فهُم عُدوانيُّون لِلغاية، حتّى أنّ الأطِبّاء يستعمِلون معهُم أسلوبًا حادًا وقاسي يجعلُني أبكي أحيانًا لأنَّ أبي من بينهم!

رأيتهُ مرّةً يجلِس في زاوية الغُرفة، يضعُ يديه بالقُرب من رأسه، ويُشرع عينيه بشدةٍ ويضحك!

سألتهُ الطّبيبة المُتخصّصة بِحالته:

أتُحِب هذا المكان، أم تمقته؟

أجابها:

لا أعلم، لكن لديّ أصدِقاء كثيرون هُنا من بينِهم ذاك الجِدار الّذي ترينهُ هُناك، إنّهُ صديقي الّذي أتحدّث معهُ كلّما أمكث فترةً مِن الزّمن هِنا فهوَ لا يغضب منّي لكثرةِ حديثي معه، ولا يوبّخني أيضًا...وأنا أحبّه كثيرًا!

لا أعلم إن كان مُؤسفًا ما أقولهُ أم لا..

لكنّنا نرتاح عِندما نضعُ والدي في المصحَّة النّفسيّة، ليسَ فقط لأنّنا نتأذّى من التّعامُل معه عِندما يفقِد صوابه؛ بل لأنّهُم يعتنون بهِ أكثر منّا -رغم اعتِناء أمّي الشّديد به- إلّا أنّ الأطِبّاء جديرون أكثر مِنها في كيفيّة التّعامل مع اضطراباته الحادّة..

ومعَ مرور الوَقت ومُضيّ السَّنوات بدأنا نطرحُ على أُمّي الأسئِلة الّتي لم تخطُر بِبالنا في الصّغر، كما خطبُ والدي؟

أعني أنّني وُلِدت وحالتهُ كذلِك، لكنّني لا أعرف تحديدًا ما اسمُ حالته النّفسي؟

أخبرتني عِندها أنّ والدي يُعاني من مرض الفِصام "انفِصام الشّخصيّة" لكنّهُ في الماضي كان أفضلَ حالًا مِن الآن، فقد ذكرَت لي أُمّي بعض أسماء الأدوية الّتي كان يتناولُها والدي... وهيَ أدوية مُهدّئة تُعطي مفعولها في استِعادة توازنه العَقلي بعدَ ساعاتٍ قليلة من أخذِها، لكنّها لم تعُد تُجدي نفعًا منذُ مجيئي أنا وإخوَتي إلى هذهِ الحياة، فقد تفاقمت حالتهُ بين ليلةٍ وضُحاها دُون أن تُدرِك أمّي وقتها السَّبب الحقيقي،

قالت لي أنّ الطّبيب أخبرها بأنّ الأدوية الّتي أخَذها شاركَت في ذلِك، فقد اعتاد عليها ليس فقط كمُهدّئات للأعصاب، بل للعيش أيضًا!..

وقالت أنّهُ قد حصلَ معها الكثير من المآسي بعد أن امتنعت من إعطاء والدي تِلك الأدوية قائِلةً:

_بعدَ أن أخفيتُ تِلك الحبوب، بدأ والِدُك يفقد عقله شيئًا فشيئًا ولم يتسنَ لي فِعلُ شيءٍ سِوى أن أحتمِله!

_تحتملينَ ماذا؟

_أحتمِل صُراخه وضربهُ المُبرِح لي كُلّما اشتدّت حالتُه.

_لِمَ لم تُعطه أقراص الأدوية، كي يهدأ ويستعيد عقله؟

كنتُ قد وضعتُ كامِلَ اللَّوم على أمّي بعد أن أخبرتني أنّها قد قامت بإخفاء الأدوية عن والدي لفترةٍ مِن الزَّمن، لكنّني سُرعان ما غيّرتُ رأيي بعد أن أردفت لي قائلةً:

_لقد خشيتُ على والدك مِنها، فقد أفرطَ في تناولها، حتّى أنّهُ أصبحَ يأخذُها دون علمي، ولم أُلحظ ذلِك أبدًا حتّى تتبّعتُ أشرِطة الأدوِية الّذي لاحظتُ نُقصانها بأُم عيني واحدًا تِلوَ الآخر!

_حسنًا ماذا حدثَ بعدها؟

_بعدها بِفترةٍ ازدادت حالتهُ سوءًا؛ فاضطُرِرتُ لِأن أعطيهُ إيّاها.

_وماذا حدث؟

_ظننتُ أن سيسرع في تناولها كي يتحسّن قليلًا، لكنّهُ فاجئَني كثيرًا برفضهِ لتناوُلِها!

_وكيفَ ذلِك؟

_قمتُ بإعطائه حبّةً مِنها فرماها من يدي بعيدًا وبدأ يضربني على كتِفي حتّى قمتُ من جانبه، ثم بدأ يصرخ وحده

_تابِعي.

_لم أستطِع الاحتمال أكثر، فاتّصلتُ بالمُستشفى النّفسي، بالكاد لم يمُر وقت طويل حتّى وصلوا وقاموا بِأخذي وإيّاه إلى المُستشفى...

أخبرتني أمّي بالكثير من الأحداث المُخيفة قبل أن تتّصِل بالمصحّة كي يأتوا إلى منزِلنا ويقوموا باصطحابها هيَ ووالدي إلى هُناك، فقد قالت لي أنّهُ نظرَ إليها بتحديقٍ شديد والدّهشة تعتري وجههُ قائِلًا:

_من أنتِ؟

ذُهِلت أُمّي من سؤالهِ لوهلةٍ!

لكنّها سُرعان ما تداركت الأمر واتّصلت بالمصحّة...لقد علِمت أُمّي أنَّ حالتهُ ازدادت سوءًا بعد أن منعَت عنهُ تناول الدّواء..

أخبرتني أيضًا بأنّها كانت مُتحسّرة ونادِمة على فِعلتها؛ لكنّ الطبيب أزال عنها كل ذلك النّدم بعد أن قال لها:

_لِمَ كُل هذا الجلد لِنفسك؟

_حتّى وإن تناول الدّواء، كان لا بد أن يأتي ذلِك اليوم الّذي تظهر عليهِ مُضاعفات تلك الأدوية، وهيَ فقدان العقل بشكلٍ تام -أحيانًا-

حدّثتنا أمّي بتفاصيل التّفاصيل عن حالة والدي وتطوّرها مع مرور الوقت.

لكنّ الأمر المُحزن من كُل هذا هيَ حياة أُمّي...أعني أنّها احتملت أعباءً كثيرةً في حياتها -ولا تزال-

أكادُ أجزم أنّها السّيدة الأروع في هذهِ الحياة، سيّدة صبورة جدًا تفتقِر لِوجود بعض الحنان في حياتها، وأعني بِهذا أنّها لم تُنجب إلّا ذكورًا..أنا وإخوَتي الاثنان..

إضافةً إلى والدي الّذي كانت تُعامله كطفلِها وليسَ زوجها، حتّى أنّني كنتُ أشعر في بعض الأوقات أنّها قد نسيَت تمامًا أنّهُ زوج لها من فرط خوفِها عليه.

دائِمًا ما كانت تراودني الكثير مِن التّساؤلات...مِنها عن كيفيّة احتِمالها طوال هذهِ السّنوات لحالة والدي؟

أعني أنّها لمَ لم تتركه في المصحّة ليعيشَ هناك بقيّة حياته؟

لا أقصد بهذا التّخلّص من والدي، لكن كان أمامها الكثير من الخيارات لِتركه، لكنّها لم تفعل، يبدو أنّ هذا بِفعل الحُب، فأن تُحِبّ أحيانًا أشبه بأن تُعطي أحدهُم حُريّة تعذيبِك متى ما شاء، وأينما أراد.. أكثرُها في قلبِك!

جِهاز الصّعق الكهربائي، كان مصدر هلَعي قبل سنوات؛ أذكر أنّ والدي كان يُخبرنا عن الألم الّذي يشعُر بهِ في رأسه في كُل مرّةٍ يُصعق به!

لكنّهُ لم يعد يُخيفني منذ أن بدأتُ أُحِسُّ باعتياد والدي عليه، فقد أصبحَ لا يتحاشى الدّخول إلى غرفة الصّعق، بل يدخُ

لها بِكامل إرادته، وهذا ما طمأنَني أكثر.

كما يُقال أنّ الحياة ليسَت عِبارة عن مشقّة دائمة، ولا راحة دائمة، فهيَ بين تلك وذاك بعد كُل تِلك الأعوام الطّويلة مع حالة والدي الصّعبة، الّتي أبصرنا الحياة عليها، شاءَ القدر أن ينتقِل والدي إلى جوار من هوَ أرحم به منّا، بعد سِنين عُجاف من حياته قضاها وهوَ يُصارع من أجل أن يحصُل على حالة نفسيّة مُستقرّة، لكن الأمر المُرعب بعد وفاته، هوَ أنّنا لم نحتمِل هدوء المنزل بدونه، أعني أنّ الحياة الّتي تبدو طبيعيّة لدى الجميع، كانت ترتدي ثوبَ الغرابةِ لدينا!

خاصّة أنا، لم أعتَد أبدًا على هذهِ الحياة الجديدة الخالية مِن الصُّراخ والهلَع والضّرب، بدأتُ أتخيّلُ كثيرًا أصواتًا غريبةً تُحيط بي،أشعُر دائمًا بهمساتِها داخِل أذُني، لكن لا أحد من إخوَتي يكترث

حتّى أنّني أخبرتُ أمّي بهذا الأمر، وأخبرتُها أيضًا بأنّني أرى خيالات غريبة تجول في منزِلنا وقتَ المغرب والفجر، لكنّها كانت تقول لي:

_أوه عزيزي...مِثل هذه الأمور كثيرًا ما تحصُل، لا تفكّر كثيرًا في هذا الأمر، لكن يبدو أنّكَ لم تنم جيدًّا لذلك ترى هذهِ الخيالات وتستمع لِتلك الأصوات..

لكنّها لم تكن مُجرّد تخيُّلات كما قالت لي أُمّي، أشعُر وكأنّ والدي لم يُدفن تحت التُّراب، بل دُفِن في أعماقي، اضطرابات نفسيّة بتُّ أُعاني منها..أشعر أنّني خائف طوال الوقت ولا أستطيع استِعادة طمأنينتي مهما جلست مع الأشخاص وأخبروني أنّني بخير، أنا لست بخير أبدًا وما زاد من سوء حالتي هوَ إخبار أصدقائي لي بالكثير من الأحداث الّتي فعلتُها لكنّني لا أذكرُها!

فقد أخبرني أحدهم أنّني زُرته منذ أسبوع وتبادلتُ أطراف الحديث معه

الغريب في الأمر أنّني لا أذكُر أنّني رأيتُه منذُ فترة ليست بِقليلة مُطلقًا، فكيفَ وقد تحدّثنا أيضًا؟

في المُقابل أخبرتني أمّي عن الحادث الّذي نجوتُ منه!

ما جعلني أضحك مُتعجّبًا فكيفَ لي ألّا أذكر كل تلك الأحداث إن حدثت؟؟

لقد أرعبني التّفكير في ذلِك الأمر كثيرًا، أيُعقل أنّني أُعاني من انفِصام في الشّخصيّة مِثل والدي؟

كل تِلك الأحداث تجعلُني أجزم بِذلك، أُفكّر في أُمّي مِن الآن فهيَ لم تعُد قادرة على احتِمال أي شيءٍ، كيفَ لها احتِمالي إن ازدادت حالتي سوءًا وفقدت عقلي مِثل والدي؟

أيُعقل أنّني سأزور المُستشفى النّفسي مرّةً أُخرى بعدَ وفاة والدي؟ وأنا من سيكون المريض هذهِ المرّة؟

يا إلهي، أيُعقل أنّي مريض نفسي يا طبيب!

قصة بعنوان : هلوسة.

بقلم الكاتبة: آية عبد الباسط رمضان.

إنها السادسة فجرًا..

سُحقاً لم أنم بعد، عقلي لم يعد يرى الصباح، أصبحت الأفكار تلتهم عقلي والسواد ينتشر شيئًا فشيئًا، لم أعتقد أن المهنة ستكون مشؤومة عليّ بهذا الشكل، ولم أعتقد أنه يُمكن لمرضاي أن يجعلوا مني أنا المريض!

وها هو المنبه يدق، وحان موعد العمل عن أي لغزُ وأي طريق سأسلُكه اليوم.

م: عذرًا أيها الطبيب، أنا لا أصدق أنه يُمكن لأحدٍ تفهم مشكلتي، ولكني أتيت إلى هنا لأكتشف أنني كُنت على حقٍ.

-

الطبيب: هه تفضل لن أجادلك سأكتفي فقط بالسماع لك، قُل ما عندك..

م: حسنًا، أتظن حقاً أن نحن المُرضى هُنا! ألا تعتقد أن ثمة خطأ ما! أتعلم... نحن المَرضى لسنا بل من جعلنا نأتي إلى هُنا هم حقًا المُرضى، دعك مِن مَن به خلل، بل أنني أتكلم عن من كان بكامل قواه العقلية وفقدها..

لطالما كُنت مبهم وواضح، لدي ازدواجية غريبة، حتى أنني لا أكاد أتفهم نفسي، تارة أريد الشيء، وتارة لا أريده، مثل أنني أود جداً أن أكون كأي إنسانٍ يضحك ويلعب ولا يأبه للغد، وتارة لا أود أن أرى الغد من الأساس..

أود فقط العُمق، وأن أرى أشياءً لا تُرى لغيري..

كانت جُل أمنياتي أن أعيش هانيء البال، دون أي ضجيج

دون أي ضوضاءٍ، أردت أن أعيش فقط بالفطره الإلهية ، لم أعتقد يومًا أن مطلبي الصغير هذا سيجعل مني ما أنا عليه الآن ، لم أحتمل وجود الناس ... وجودهم يربكني يُصيبني بنوبة رُعاشٍ، ضجيج ...ضجيج يكاد يُفجر عروق عقلي.

الطبيب: أتسمح لي بسؤالٍ؟

م: تفضل

الطبيب: ما الذي اوصلك الي هذه الحالة؟

م: بداية كنت أشتغل في طباعة أوراق المستندات في إحدى الشركات الكُبرى، وأكتب المقالات أيضًا.. إلى حين أنني في يومٍ ما ذهبت لأسلم الأوراق التي جهزتها عندها سمعت بالشيء الذي لم أتوقع أن أسمعه يوما، كان يتهامس المُدير مع موظفته لإيقاع أحد الإداريين ليوقع على صفقةٍ بالملايين رغماً عنه..

أنا حقاً لا أود تذكر تلك الحادثة لأنها تجعلني أفقد عقلي..

الطبيب: لا بأس يمكنك ان تاخد قسطاً من الراحه

ابعد المريض كرسيه وجلس يتأمل قرب النافذة.

م: آهٍ ما أجمل الأشجار الخضراء والورود الجميلة، كان هذا قاسٍ جداً، أن أشترك في جريمةٍ لم أكن أنا القاتل فيها، ولا المُشجع حتى! كان كُل ذنبي اني رأيت ما كان يجب أن لا أراه..

_ إلتفت المريض لب وبنظرة حادة قال:

لسوء حظي شاهدتني كاميرات المُراقبة وانا واقف مذهول مما سمِعت ولم انتبه في منتصف الليل عندما كنت اجهز نفسي لطلب الاستقالة ظناً مني انه لا أحد يعلم ما سمعت، تم إحضاري رُغما عني لأكون ضمن الصفقة.

-

وقفت دون حراك انتظر مصيري ، وبينما تقوم تلك الملعونه بالإيقاع بالرجل، وعندما لم يستطيعو خداعه حصلت مشاجرةً كبيرة أدت إلى القتل، كان ذلك أمام عيني وبأم عيني، وقفت أتأمل في وجوههم وأتأمل في الجثة المرمية على الأرض اخدت اقرب سكين وقتلتهم نعم قتل اؤلائك الملاعين ثم سقطت أرضًا وبدأ عقلي بالدوار، لا أدري كيف خرجت ولا أدري ما الذي اراه يداي إنها تزف دماءً، دماء ليست دمائي.. ذهبت لأقرب مقر شرطة لأبلغ الشرطة وإذ بالشرطة تعتقلني أنا.

مكثت سنين في السجن بذنبٍ لم أرتكبه..

وها انا امامك الان وكما يطلق الناس علي " مريض نفسي"

أصبحت لا أطيق أحدٍ، وتجتاحني رغبه بقتل كل من قام بإذاء احد عند الإحتكاك بالناس ابدا بالصراخ صراخُ لا توقفه الا هذه السماء الجميلة، رفع المريض عيناه في السماء وقال:

لذلك ذهبت بعيدًا، عشت بقيت حياتي أربي الحيوانات وأعتني بالأشجار وأحصد الثِمار..

_ثم إلتفت المريض للطبيب واقترب منه وقال:

هل بعد كُل ذلك لا زلت تظن أني أنا "المريض النفسي"؟

قصة بعنوان: من النسيان ماقتل.

بقلم الكاتبة: مها مادي الأطرش.

الأوجاع والأحلام التي رحلت، التجارب الفاشلة والانكسارات، سأسرد هنا حكايتي التي يملؤها الظلام..

أصبحت أحلامي صورةً مشوهة، مسكونةٌ بالألم، وأنا غارقة في ظلام الوحدة، عجزت حتى عن حب نفسي.

تملأني الندوب التي تأبى أن تندمل، تبا للأرق الذي يهز مضجعي حينما أنام، انتابتني بعض الأفكار الغريبة، رفضت الاستحمام لخمسة أشهرٍ مستمرة، أوحت لي الهواجس أنني مصنوعة من الزجاج، كنت أخشى أن يلمسني أحد فأتهمشم.

بدأ الأمر منذ وفاة والدي وجثته التي وجدت قبل سنين في باحة منزلنا وقد قتل في ظروف غامضة..

أصبت بمرضٍ نفسي، أصبحت روحي مجوفة وتالفة..

حين تصاب بفقد عزيزٍ، بموتٍ أو غربة، ولا نجد أي أحدٍ بقربنا، البعد والحرمان والمشاعر المكتومة، قبور صامتة مليئة بالتساؤلات التي لا أملك لها أي جواب.

في 21 يناير 2012.

في صباح يومٍ جديد دخلت للمصحة لأبدأ العلاج، وجدت الطبيب ينتظرني كالعادة، والفضول يملؤه ليعرف قصتي.

الطبيب: مرحبا يا ابنتي!

_مرحبا!

الطبيب: أخبرتني والدتك أنك رفضت المجيء إلى هنا، ولكن يبدو أنك وأخيرا وافقت.

_أجل، رفضت

الطبيب: ولم؟

_وماذا سيحدث إن أخبرتك؟ هل سأشفي من هذا الألم؟ هل سيرجع هذا والدي الذي رحل؟

الطبيب: لا بأس، أعلم حقا لما تشعرين ولكن ثقي بي وأخبريني

_حسنا

الطبيب: أخبريني عن اسمك؟ عمرك؟

_أدعى رولا، أبلغ من العمر عشرون ربيعا.

طغى الصمت على المكان، وحاولت أن أستجمع قواي وأتحدث، لكنني وجدت نفسي أصرخ دون وعي مني، وكأن الألم يلتهم ذاكرتي كلها!

نقلت أثرها إلى المشفى بعد أن فقدت الوعي لساعةٍ كاملة.

في صباح 25 من يناير..

عدت ولكن هذه المرة سأخطو الخطوة وحدي وسيرحل هذا الحزن وسينتهي، استقبلني الدكتور بكل رحابة صدر..

الطبيب: عليك أن تأخذي نفسا وتهدأي، أخبريني بكل شيءٍ

_قبل سنتين من الآن رحل أبي، حيث وجدناه مقتولا في ظروفٍ غامضة، حاولنا معرفة القاتل ولكن دون جدوى، أغلقنا ملف القضية، ولا أحد يعلم السبب وراء قتله لليوم.

كنت شديدة التعلق به، لم أفارقه للحظةٍ، ومنذ وفاته أصبحت وحيدة.

ولا تعلم إذ كان هذا هدوء أو انهيار أم هو انطفاء أم نضج أم حريق خامد... وكلما حاولت الهروب منها أجدها معي وجها لوجه..

الطبيب: حسنا، هذا يكفينا لليوم.

عدت للبيت، شيءٌ ما بداخلي قد تغير، لربما هذا الكلام أزاح ثقلا ما بداخلي.

1.فبراير. 2012

عدت من جديدٍ لأبدأ المرحلة الثانية من علاجي..

الطبيب: اجلسي واكملي..

_لم يعد بوسعي أن أنظر لهذا العالم ببراءةٍ، استقرت تلك النظرة الثلجية بعيناي، توهم نفسك أنك تخطيت ولكنك ما زلت مسكونا بتلك الأصوات التي تزاحم تفكيرك، وروحك ما زالت سجينة ذلك اليوم، وتلك الساعة، تأبى النسيان وترفض أن تغادر أرضه.. وكلما تلامحت ملامحي أراه بها، لم أستطع نسيانه مهما حاولت..

عندما تنتاب المرء الكثير من الألم تجتاحه رغبة مفاجأة في الضحك، لربما هذه الابتسامة الدامسة هي فعل المقاومة لهذا الظلام..

حاولت أن أعرف من قتل أبي، وفتح ملف القضية من جديدٍ، وأجريت التحريات وبعد مروري فترة من الزمن ألقي القبض على القاتل، إنها أختي الكبرى، حكم عليها بالسجن إلى الأبد، قيل لي أنها حينما قتلته لم تكن في وعيها وكانت تتعاطى الهيروين.

نجوت من الانتحار مرارا، كان الحل الوحيد في نظري للهروب... أن أنسى، الكتمان سكين من القهر والعذاب.

ولكن الجوع إلى الفرح كان يأتي بين حين وآخر، رفضت في البداية المجيء إلى هنا، ولكن بعد إصرار والدتي وافقت.

الطبيب: لا بأس، سيمر هذا الألم تدريجيا، فقد تغلبتِ اليوم على أكبر مخاوفك وتحدثِ دون خوفٍ، وهذا مؤشرٌ جيد أنك بدأت تتعافين... سأعطيك بعض المهدئات التي ستساعدك على النوم، وستأتين إليّ في الموعد القادم.

ذكريات الألم بدأت تحترق، وبالفعل بدأت أتغير، عادت حياتي إلى طبيعتها، بدأت أدرس جيدا، ونوبات الصراخ التي كانت تأتي حينما أنام، بدأت تختفي..

وهكذا بدأت أتردد على المصحة للعلاج، ويوما بعد يومٍ بدأت أتحسن، زال الخوف وبدأت من جديدٍ، وضعت نقطة النهاية على السطر الأخير في قصتي، وانتهت رحلة الألم الطويلة، وأصبحت روحًا جديدةً، ولم يعد الظلام لنا.

قصة بعنوان: حالةٌ لا حال لها.

بقلم الكاتبة: هند مصطفى أبوعامر.

كنت في المستشفى، بعد بضع ساعاتٍ، أتت حالة طارئة، مرهقة، لا حال لها، أظن أنها نامت من شدة البكاء، طرقت الطبيبة على الباب سمحت لها بالدخول، ترددت قائلة: يا طبيب، الحالة النفسية التي توجد في غرفة رقم37 كادت أن تفقد عقلها، أسرعِ قليلا.. هند هند اهدئي اهدئي لطفا، لماذا حالتك هكذا؟ دعينا نتحدث لوحدنا يا طبيبة..

أخبريني ما سبب حالتك هذه؟

هند: حسنا سأخبرك..

عندما توفت أختي أصبت بمرضٍ نفسي، كنت أشعر بالذنب، كانت الهلوسة تسيطر على عقلي، أرى أختي في كل زوايا المنزل لم أصدق وفاتها، تدهورت صحتي النفسية والعقلية، أصبح الإكتئاب يسيطر على جسدي، كنت وحيدة حد الترف، جعلني هذا المرض بائسة كالوردة، لم يسقها أحدٌ فذبلت، أثر هذا المرض على عقلي وأفكاري، أشعر دائما بالحزن، وبالذنب لو كنت فعلت هذا لما حدث ماحدث لي أختي، ابتعدت عن كل الأصدقاء، أصبحت وحيدة في المستشفى، في حجرة بيضاء مملة لا أحد يسأل أو يتحدث معي إلا أنت يا طبيب، جسمي منهك ليس لدي طاقة أصبحت الهلوسة رفيقتي، بت أراها دائمًا، وأتذكر كلماتها الأخيرة حين قالت: "أريد الماء، فأنا أشعر بالموت"

ياالله أعطيتها ماءً، لماذا ذهبت وتخلت عني؟

كرهت هذا المكان، فقد أرى أختي على السرير تناديني، أذهب إليها ولم أجدها، إن قلبي يغدو منكسرًا من شدة الصبابة يا طبيب، أشعر وكأن أحزان العالم كلها على كتفي، لقد أكثرت من الحديث..

دخلت الطبيبة وتركتها معاها.

بعد ساعات...

الطبيب: مرحبا هند؟

هند: مرحبا أيها الطبيب تفضل

الطبيب: كيف حالك يا عصفورة؟

هند: هههه عصفورة؟ لو كان حالي جيدا لما أتيت هنا..

الطبيب: أعتذر، لي سؤال، لِمَ تشعرين أنك المذنبة؟

هند: لا تعتذر... لا يهم، لأني لو كنت مع أختي لما حدث معها هكذا.

الطبيب: توقفي عن التفكير بهذا الشكل!

هذا قدر الله، أختك لم تنجب للمرة الأولى، أنجبت عدة مرات ولكن المكتوب لها أن ترحل هذه المرة، والموت كلنا له، هي الآن في دار الحق، ادعي لها بالرحمة.

هند: أعلم، وما تقوله صحيح، ولكن الحزن سيطر على فؤادي، أنا فقدت الجميع، وكلهم برمشة عين، فقدتُ أخين، الجد، الجدة، والأن أختي، رحل الجميع، وجعلوني أبكي ليلا ونهارا على فراقهم، متى يحين دوري يا طبيب؟

الطبيب: دعك من كل هذا، كلنا نفقد، فنحن من الله وإلى الله ، وستذهبين حين يحين دورك.

الطبيب: بمَ تفكرين الآن؟

هند: أفكر بالإنتحار يا دكتور، فقد بت وحيدة من دونهم، أرغب بالرحيل وبشدة.

الطبيب: اهدئي قليلا، خذي نفس عميق واسترخي، توقفي عن التفكير قليلا، لا يحق لك أن تفعلي هذا، ها أنا فقدت أمي، ولكن رغم الآلام أحارب، وأعلم أن الفقد مُر جدا، وكلنا سنرحل يوما ما، فلا داعٍ للتفكير بذلك.

هند: أعلم وأفهم ما تقوله دكتور، شكرا لك يا منبع اللطافة، وما الحل هل ستساعدني للخروج من هذه الحالة؟

الطبيب: تبدعين دائمًا في الكلام، أنتِ لطيفة القلب، نعم سأساعدك، وسأعطيك بعض الأدوية ونخرج غداً لنتنزه، ولنرى عالما آخر غير هذا الحوائط البيضاء، هيا يا جميلتي افتحي فمك لأعطيك الدواء.

هند: شكرا لك فقد خجلت من كلامك، يا سلام انتظر غدا لنخرج معًا، يالا الروعة، حتى الدواء برؤيتك دواء، سلمت دكتور..

الطبيب: هيا نامي يا عصفورتي، وسنلتقي غدا بإذن الله.

هند: حسنا دكتور، شكرا لك وللطفك سأنام، تصبح على خير يا منبع اللطافة..

الطبيب: وأنتِ من أهل الخير يا عصفورتي.

قصة بعنوان: عمر جديد.

بقلم الكاتبة: ياسمين وفاء.

2021/3/3

الساعة تدق أعمدتها على الرابعة عصرًا، بعد دوامٍ كامل هذه آخر حالةٍ لدي

مكتوبٌ على الورق أمامي أنها فتاة في العشرين من عمرها مصابة باكتئابٍ وهلوسة بسيطة، وأنا أقرأ ملف المريضة إذ بي أسمع صوت طرقٍ خفيف..

_تفضل.

دخلت علي فتاة العشرين عامًا.

بابتسامةٍ تشق خديها: مرحبًا!

تحدثت بصوتٍ مليءٍ بالعفوية والرقة، وبعينين تختلف كل الاختلاف عن مظهرها الممتلىء بالألوان والحياة؛ سوداء المقلتين وتحتها بانت علامات الحرب المريرةِ عليها سهادٌ ملازم قد قرأت عنه في الملف

حللتِ أهلاً تفضلي بالجلوس..

_شكرًا.

هل نبدأ؟

_في أي وقت.

حسنًا، أعرفكِ على نفسي أنا الطبيب علي مختص نفسي، أتمنى أن نتساعد معًا وبأن ترين النتيجة التي تُريدين.

ومع تحدثي إليها رأيت تلك الأشياء التي تنهال وجعًا في قلبي، مهما عالجت من مرضى ورأيت أغرب أنواع المرض، يبقى قلبي خفيفًا عليها، رعشت الأصابع، وتيرتُ تحركات رجلها، ونظرة الخوف في عينها.

بعد عشرة دقائق من الصمت:

لقد أحببته لسنتين وشهران

ووقعت في غرامه من أول خمسة دقائقٍ معه، ويالله على قلبي المسكين

وعلى وقع صدمتي انهالت دموعها

لكي أروي حكايتي أحتاج صندوق مناديل، مهما أصبت بمرضٍ بعده تبقى دموعي غزيرةً في ذكرهِ.

لا بأس، الدموع تعبر عن حُبٍ عميق.

أيها الطبيب كلمة "عميق" لا تعبر عن مقدار الهوى الذي يملكه قلبي ناحيته.

احتوانا صمتٌ بسيط أنتظر بأن تأخذ راحتها وتسرد هذا الحب ومالذي ألت إليه الأمور لتبقى هكذا.

اسردي لي وأن كان الموضوع صعب عليكِ، لكِ حريةُ الكتابة على الورق.

في اتباعي لهذه الطريقة وجدت الكثير من الراحة لمريضي، أجعله يكتب وفي اليوم التالي أقرأ ما خطتهُ أنامله.

رأيتها تمسك الورقة وبدأت تكتب وأنا أتابع تحركاتها عينها وطريقة قضمها لشفها، رأيتها في العديد تبكي وفي مرةٍ توقف القلم وتسبح في الفراغ.

ساعة مرت وفي مرورها قدمت لي الورقة... وها هي تغادر.

بعد يومٍ مليء وأخيرًا امسكت ورقة المريضة، هناك تردٌ في داخلي وصوت يقول لي ستندم؛ فأنا رجلٌ يؤمن بالحب وأسير على منهجه وهنا تقبع قصة ستُغير كل الأمور..

2021/3/4

يوم جديد يستقبلني، وأشياء مختلفة ستقبع فيني، والأكثر أهمية أسرارًا سترقد في قلبي للأبد، سِرًا كان مدفون وقد خرج لي.

جلست في مكتبي أنتظر الساعات تمضى لاستقبال المرضى، ولأول مرةٍ أكون في تفكير مشتت وقلب مضطرب، وعلى حين غرةٍ رأيت صاحبة القصة الغريبة والغير مفهومة.

مثل العادة صامته مليئة بالحياة، تشع ألوان وألوان؛ إنها أول مريضة تأتي لي وهيَّ هكذا.

مرحبًا، كيف حالكِ؟

_بخيرٍ، شكرًا على السؤال.

هل نبدأ؟

_بالتأكيد.

هل لكِ بأن تروي قصتكِ بلسانكِ، فيختلف الأمر كثيرًا عن الورق.

_إن الأمر صعب، لكن تعبت أريد حياة تخلو من وجوده فيني وفي كل الأركان

أحببته واختفى، لا أعرف أن كان مع أخرى أم لا، إلا أنني بقيت هناك حبيسة المكان الأخير، المكان الذي جمع الحضن والقبلات، المكان الحاوي عليّ أنه على قلبي وروحي، ألتقينا في حفلةٍ لابنت عمتي كان غريبًا، أو مرةٍ أراه بين أقاربي، لم أتجرأ وأذهب إليه، وعيناه كانت فقط عليّ.

_مرحبًا؟

لم أشعر بشيءٍ إلا بصوتٍ غريب يخرق أذني

_مرحبًا!!

_كيف حالكِ؟ معكِ محمد

_بخيرٍ ماذا عنك؟

أخذتنا الأحاديث تعرفنا على بعضنا، وقد قررنا بعد أسبوع سيكون لنا لقاءً آخر.

رأيت الحب يشع من عيناها، والحنين من دمع عيناها يسقطع تحضن نفسها بيديها، والأمل الذي دخلت بهِ قد تلاشى، لا أعرف كيف يحب المرئ ويترك هكذا ببساطة؛ تركها في يوم الزفاف هكذا تلاشى من الوجود.

لنترك البعض للجسلة الآخرى لا أريد أن اتعبكِ.

....

مرت خمسة أشهر وفيها رأيت العديد منها، الكثير من الخسائر، لكن في مرات تكون القوية قبل الحب الخاسر، تأتيني تطلب الهدوء وأن يتحدث قلبها من غير سببٍ للصمت، في آخر جلسة قبل أسبوع أتتني تبتسم بابتسامةٍ لم أرها على وجهها.

_لقد انتهى هذا العذاب، شكرًا جزيلًا لأنك كنت سبب نجاتي وبأن أصدق الحب من جديد.

قصة بعنوان: أثرٌ خفيّ.

بقلم الكاتب: محمد نورالدين احداش.

في الصباح الباكر كنت متجهاً إلى عملي، كان الجو ممطرًا قليلاً، البرد الشديد لم يرحم الفقراء المساكين، كان الضباب مسيطر على المكان، وكانت الرؤية معدومة جدا، بعد مرور ساعةٍ من الوقت وصلت إلى عملي، أخذت حقيبتي وصعدت إلى مكتبي، قابلني شاب لفت انتباهي، يبدو أنه مريض نفسي وينتظرني، كانت ملامح وجهه حادة، يبدو كقاطع طريقٍ أو مدمن مخدرات، نظراته تزرع الرعب في قلوب البشر، دخلت مكتبي وأخذت فنجانًا من القهوة الساخنة، طلبت من الممرضة أن تدخل أول حالةٍ، كان الشاب نفسه، صوت ضحكته الشريرة تتعالى، كان خائف من والده، طلبت منه الخروج وأن يتركنا لي وحدنا، بدأت بتهدئته حتى استرخى، سألته من فعل بك هذا ولماذا أنت هنا؟

بدأت الحديث معه حاولت أن أفهم قصته، في البداية كان يبادلني بنظراته الحادة لم يرضَ الحديث معي، يبدو أنه فقد الثقة في البشر، تعاملت معه كأنه طفل صغير، أعطيته شعور الأمان الذي فقده بدأت في تشخيص حالته، كان باهت جدا حالته غريبة، كانت عيناه تلمع من الدمع، لم يستطع إخراج دموعه الحارقة، سألته عن أمه لماذا لم تأتِ معه؟ تبدلت ملامحه الشريرة وجاءته جرعة حزن كبيرة لم يجبني عن أسئلتي..

شخص ما طرق الباب إنه والده، قال له اخرج أنت بحالةٍ جيدة لا داعٍ للعلاج، قلت له اتركه واخرج رجاءً، نظر إلى ابنه وقال له سنتحاسب في المنزل إن لم تخرج الآن، كان ينظر إليّ بنظرة شفقة، يريد مني أن أنقذه من هذا الرجل القاسي، لم أستطع فعل شيء لإنقاذه.

قلت لوالده أنا سأتكفل بعلاجه، اتركه واخرج، سأخبر من أحد السائقين أن يعيده للمنزل بعد تلقي العلاج، وافق على هذا العرض وخرج وهو يتكلم مع نفسه، قلقت على هذا المريض كثيرا، والده لا يعرف الرحمة ابدا.

كانت آثار الضرب واضحة جدا، وهناك آثار حبال على عنقه، يبدو أنه حاول الانتحار كثيرا، يا ترى ما هذا السبب الذي جعله يفعل كل هذا بنفسه؟ ومن سبب تلك الضربات؟

كان جسده مملوء بالكدمات والجروح العميقة، أعتقد أنه لم يتم علاجها أبدا، بقيت تنزف حتى شفيت وحدها، سألته من فعل بك كل هذا يا عزيزي؟

بدأت عيناه تفيض من الدمع، لا يريد البكاء أمامي حتى لا أشفق عليه، قلت له أنا مثل صديقك تستطيع أن تخبرني بكل شيء، استغرب وقال هل بالفعل يمكنني الحديث معك دون أن تخبر والدي؟

أجبتهُ: نعم، هنا تأكدت أنّ والده هوَ السّبب في كل ما حدث.

قال: أن أمي كانت مريضة ولا تستطع النهوض، كان والدي سيء معها، يعود في منتصف الليل لِيضربها دون أي مبرراتٍ، كانت تصرخ وتناديني تريدني أن أنقذها من هذا الوحش، ولكن كلما تدخلت بينهما كان يضربني بعنفٍ، وأحيانا أفقد الوعي، حافةُ شفتايْ دائمًا تنزف من شدة الضرب، منَعنا من الخروج إلى الناس، كان دائمًا يهددنا بالموت.. استمرت هذه الحالة لفترةٍ طويلة بين الجوع والفقر والصراخ والضرب والدموع والدم، أمي لم تعد تحتمل سوف تموت وأنا لا أريد هذا.

في إحدى الليالي الباردة كنا نجلس مع أمي حتى عاد هذا الوحش، لا يعلم ما يقول يبدو أنه شرب الكثير من الخمر، دخل إلينا وبدأ يصرخ، كان يحمل سكينًا في يده، خطواته غير متوازنةٍ، عيناه تخرج شرارة من شدة الصُّراخ، قلت له أخرج واترُكنا لم أنتهِ من الحديث حتى صفعني واسقطني على الأرض، بعد بضع دقائقٍ عُدت إلى

رشدي، بدأت أنظر إلى ثيابي كانت مملوءة بالدماء، هل يعقل فعلها؟ هل قتل أمي هذا السكير الأحمق؟

سمعت صوت رجل فالحديقة، إنه هو... لماذا هذه الحفرة؟ هل يعقل أن تكون جثّة أمي؟ يالله أنا لا أستطيع العيش من دونها، خذني معها ولا تتركني وحيدًا...

تحولت حياتي إلى اللون الرمادي بسببه، حاولت كثيرا أن أقتل نفسي ولكن لم أنجح، أكملت بقية عمري مع قاتل أمي، هذا الرجل أخذ مني كل ما أملك، حرمني من العيش كبقية الأطفال، كلماته القاسية ويداهُ الكبيرة لم يتركوا لي شيئاً أعيش من أجله، تباً لهذه الحياة.. لماذا تفعل معي هكذا؟ ما الذنب الذي ارتكبته حتى ابتلاني الله هكذا؟

قلت له: أنا بجانبك لا تقلق، والدك سوف يعاقب على جريمته البشعة، أريد منك أن تتعافى فأنت مثل ابني، لا تفكر في الأشياء السيئة أبداً، أريدك أن تفكر في الأشياء الجميلة، سأكتب لك بعض العلاجات لتأخذها، بعد ثلاثة أيامٍ ستعود وتخبرني بصحتك، هل اتفقنا؟

قال: نعم، اتفقنا أشكرك كثيراً على ما فعلتِه، لن أنسى هذا المعروف ما حييت، ولكن والدي سيقتلني أنا أيضًا لا أريد العودة معه أرجوك...

قلت له: حسنا لا تخف سنطلب الشرطة وتخبرهم بكل شيءٍ حدث معك وكيف قتل أمك، ولا أريدك أن تخاف فـأنا بجانبك..

قال: سأخبرهم بكل شيء فعله هذا المجرم ولن أخاف منه بعد اليوم، سأحرر نفسي من هذا السجن حان وقت دخوله في مكاني.

قلت له: تعجبني شجاعتك، لقد اتصلت بالشرطة وهي في الطريق إلينا، ابتسم قليلا... هيّا فدور الحزين لا يليق بك.

قال: شكرا لك كثيرا، أعدك أنني سأتغير وأن آخذ دوائي في وقته وأنام مبكرا، ولن أسمح لدموعي أن تتساقط مجددا.

قلت له: أعجبني كلامك كثيرا، أنت شابٌ طموح جداً وتستطيع العيش بسعادةٍ، ستتعافى من كل هذا الخوف والجروح، والدك أخذته الشرطة ولن يخرج أمامك بعد اليوم.

اطمئن يا صغيري...

استمر هذا الشاب الصغير على العلاج لعدة أشهرٍ، وبفضل الله تعافى تمامًا وأصبح شخص ناضج ومجتهد في دراسته، تغيرت حياته كثيرا وكان من أفضل الشباب في منطقته، سيكون شيئًا جميل في المستقبل، أنا متأكد..

وأخيرا ذهب الظلام ودخل النور فى قلب هذا المسكين، تبدل الحزن بالفرح والأشياء السيئة بدأ في نسيانُها، أصبح رجّلاً ويستطيع أن يتحمل مشاكله وحده، عادت لمعة عيناهُ من جديدٍ، وارتسمت الضّحكة على وجهِه الجمِيل، كنتُ واثقًا جداً أنه يستطيع التغلب على هذه المشكلة، ولكن لم يجد أحد يقف إلى جانبه ويسنده، لا يملك أخ ولا صديق؛ فوالده كان مجنون ومنعه من الخروج منذ طفولته، كان ينظر إلى الحياة بسلبية، ولكن تغيرت هذه النظرة وقرر أن يكون شيئًا جميل في حياة الآخرين.

أخيرًا:

لا تجعلوا قلوب أطفالكم تمتلئ بالكره، زوجاتكم لهم حق عليكم أيضا، لا تعاملوهم كأنهم خادمات لكم، هم أيضا لهم قلب ومشاعر، اجعل كلامك معهم لينا ولا تقسَ عليهم، العب مع أطفالك في حديقة منزلك، اشتري لهم بعض الحلوى وانظر إليهم كيف يضحكون، اصنع حياة جميلة لزوجتك وأطفالك، لا تكن قاسٍ معهم، ابتعد عن الخمور والمخدرات لأنها سترمي بك في القاع ولن تجد أحد معك، حاول أن تعيش بهدوءٍ وأمان أنت وعائلتك... كن معهم ولا تكن عليهم.

قصة بعنوان: مضطرب.

بقلم الكاتبة: إيلاف مختار عيان.

_السلام عليكم.

_وعليكِ السلام يا ليلى، مضت سبعة شهور ولم أراكِ!

_لا عليك كنت أحضّر لك شكاوي جديدة ولم أكن أتعافى.

_إذاً فلنبدأ لأن الوقت قد لا يسعفك لقول أول مشكلة!

_وكيف عرفت؟

_نبرة صوتك تخبر وتلك الدوائر السوداء المزرقة حول عينيك تبوح.

_أنا لا أريد أن أشكو لأنني لم أجد فائدة.

_وكيف تريدينني أن أعطيك حلاً من دون شرح المشكلة.

_أنا لست أيها الطبيب أحمد، لم أعد أنا، قبل السبعة شهور كنت أنا أنا وحزينة والآن أنا ليست أنا وحزينة كيف الحل أخبرني؟

_الحل هو التخلي، والقبول والتسليم.

_لا أستطيع، خياله لم يفارقني لحظة، وصوته يتردد بين أُذناي، ما الحل ؟ أسمعه عندما ينادي يا ماما.

_هرمتُ معكِ يا ليلى..

_ومن هذا الذي ينادي بماما؟ منن؟

_ولد ماذا وخطيبك توفيَ منذ سنة ولم تتزوجا حتى!

_أتريد أن أسجل صوته عندما يهتف "ماما أريدك يا ماما"؟

_عزيزتي ليلى!

أعرف أن صدمة موت خطيبك الذي كنتِ مخطوبة له 3 سنوات فاجعة بالنسبة لكِ، ولكن على الإنسان أن يرضى، عليه أن يرضى كي ينجح في اختبار الدنيا ويكسب في آخرته.

_لا أستطيع.

_هذا خيارك لا أكثر ولا أقل!

2:27 AM

الريح تعصف في الخارج وهي لا تقوى على ذاك الصفير المحزن مع صوت تساقط المطر، وكأن السماء تستجيب لها وتبكي معها، هي الحزينة التي كلما بكت بكت معها السماء، فمتى تزهر مع الربيع؟

مضت الأيام و الليالي~~~ وكم منها سُرقت واللص مفقود!

ليلى كانت متيمة بحزنها أكثر من خطيبها الذي فارق الدنيا في عملية تسلق للجبال، كانت صدمة عمرها التي صبّت عليها بالجنون.

في يوم الثاني من شهر يوليو عام 2005

ليلى: أيها الطبيب، اليوم نمت ولم يمر طيفه من أمامي!

الطبيب : أخبار سعيدة، وكيف حصل هذا أخبريني، أكان عفويا أم بمحاولات منكِ؟

.ليلى: لا أدري نمت ولم أراه في منامي وحسب.

الطبيب: ولم تسمعي صوت أحد يهمس ولا أي من تلك الهرطقات؟

ليلى: لا ولا أي شيء أتتخيل؟

الطبيب: عجيب أمرك، ولكنني فرحت جداً.

ليلى: الآن أستأذنك للذهاب.

الطبيب : إذنك معك.

3:15 PM

يحتسي الطبيب أحمد كوباً من الشاي ذا النعنة المتدلية ينظر للسحابة الهاربة بمطرها لمكان ما ويقرأ في الجريدة وماذا يوجد من جديد في المدينة، ويُصدم الطبيب بخبر مكتوب بالبند العريض" وصية ليلى بنوي من بعد ما وجودوا جثتها في سكن الجامعة القديم"

15 /4/2006

الطبيب: يا أحمد أهذه كل المشكلة ؟

أحمد : نعم يا دكتور نعم.

الطبيب: ليلى توفت بفعل تسمم وأنت من وقتها لا تدرك ماذا يحصل وكنت تتخيل نفسك طبيبها وتتوهم بأنك تراها كل يوم؟!

أحمد: كنت أستشعر وجودها يا طبيب وكأنها أنت الآن.

الطبيب: يا أحمد خطوة بخطوة سنجد حلًّا للمشكلة ما عليك سوى التطبيق.

أحمد: حاضر.

الطبيب: اليوم هو التمرين الأول.

اذهب لمنزلها وتذكر كل ذكرياتكم هناك وتقبل أنها لن تعود..

أحمد: حسنا سأفعل، وفي النهاية هل سأجد طريقا كي ألقاها؟

الطبيب: لا، ليلى قد ماتت، وذهبت لربها وانتهى الكلام!

أحمد: قال بهمس "سألحقها" وتنهيدة قوية ثم قال: أحتاج لرحلة للجبال.

الطبيب: نعم كي ترفه على نفسك يا عزيزي.

.أحمد : لا بل كي ألقاها.

الطبيب: تعيد وتكرر نفس الشيء لماذا؟

ألم أقل لك أنها ماتت؟...

النـهايـة

فِي كُل مرةٍ يَزورنَي مَريض بِقصةٍ مُختلفة تَماماً عن المَريض الذِي قَبله، أشعُر وكأنهُ جُزء مِن كَياني، وتَقودُني الذِكريات إلى ذٰلك الوقت المرِير الذي عِشتُه.

كُنت تَائِهًا وبَاحثًا عَن مأوى، عَن شيءٍ قَد يُخفف آلامي وجراحي

رُغم ذٰلك فَإن ذَاك الوجع بث في دَاخلي رُوح العَزيمة والإصرار لِكي أقود أولئك المدمرين إلى بر النَجاة.

أدركُ أنَ مِن أمثالي وأمثالهُم مَلايين مِمن يَبحثون عَن الأمان والاطمئنان، عَن شُعورٍ صَادق قد فَقدوه.

حَقيقةً كُل مَريضٍ يَظنني دُمية بَاردة لَا تحمل مَشاعرًا، بِسبب القَرارات التَي اتخذتُها لِبنائِهم، تَالله إنني أمتصصت أوجاعَهُم وخَبيئتهُا فِي دَاخل.

زَرعُ الأمل والبَهجة لَيس بشيءٍ بَسيط، فَتالله إني أمضيت حَياتِي باحثً عَنهُم، لَست أدعي المِثالية ولَكنني أهبهُم مَا يَنقصنِي بِكل حُبّ.

الحَياة كِفاح ولا مَكان لِلضُعفاء، إما الاستمرار أو الضَياع فِي طُرقات الحَياة.

كُن طَيبًا ولا تَكُن غَبيًا، كُن أنتَ ولا تَكُن هُم، وتَذكر أن اللهَ مَعك دائِمًا وأبدًا.

_إيناس فتحي بكه.

_ريحان ميلاد رمضان.

وفي الخِتام أشكر الله عز وجل أن منحني التوفيق لاتمام هذا الكتاب، وكما أهدي الشُكر لِكل الأنامل المُبدعة التِي شاركت فِيه، وأشكر كل من أسهم في دعمنا وتشجيعنا لنسير نحو النجاح، ولك عزيزي القارئ لاستقطاعك جزءًا من وقتك في قراءة هذا الكتاب، وإلى كُل الأقوياء الذين يجاهدون ويصارعون الواقع الذي فُرض عليهم لينهضوا بأنفسهم إلى القمم.

أخيرًا شكر خاص إلى:

صاحب الفكرة/ عبد الرحمٰن إمنيصر.

الرسامة/الشيماء الواعر.

مصممة الغلاف/سجى محمد الدالي.

أسأل الله العظيم التوفيق لنا ولكم أعزائي، تحياتي.

_هداية الهادي الوريث.